مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

العدد المزدوج (١٧ ــ ١٨)

شوال ــ ١٤٠٢ ــ ربيع الأول ١٤٠٣هـ.

السنة الخامسة

تموز ــ كانون الأول ١٩٨٢م.

الفهرس

١ ــ النحو العربي واثره في النحو العبري — للدكتور محمد حسن ابراهيم ٥

٢ ــ طريقتان لحساب ميل فلك البروج (من اخراج محمد بن السباح) — للدكتور عبد المجيد نسير ١١

٣ ــ من مواضع الخلط بين الاخافش النحاة — للدكتور محمود حسني محمود ٢٥

مراجعات الكتب

١ ــ مع معجم « الصحاح » و« حواشيه » — للدكتور ابرهيم السامرائي ٥٠

٢ ــ علي بن هذيل الاندلسي وكتابه : « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » — للدكتور خليل ابو رحمة ١٠١

تعليقات ومناقشات

١ ــ ذيول وملاحظات (٢) — للمهندس الاستاذ حاتم صكر ١٤٣

٢ ــ استدراك على «شعر ابن ميادة» — للدكتور خليل ابو رحمة ١٦١

نعي الزميل الاستاذ علي نصوح الطاهر ١٧١

اخبار مجمعية ١٧٥

النحو العربي وأثره في النحو العبري

للدكتور محمد حسن إبراهيم

(الجامعة الأردنية)

توطئة

ليعذرني القارئ إن لم أستطع مقاومة إغراء يلح علي في كتابة هذه التوطئة، التي قد لا يرى فيها صلة وثيقة بمادة البحث. مصدر الإغراء والإلحاح هذين كان تجربة شخصية مريرة أوحت إليّ بالتفكير في كتابة هذا البحث، مما دفعني إلى تتبّعه في كل ما استطعت أن تقع عليه يداي، ليجيء في النهاية على هذه الصورة، التي أرجو أن تحفز غيري من الزملاء والمختصين إلى مزيد من البحث فيه، وإلى استقصائه بشكل أفضل.

فقد أتيح لي قبل سنتين ونيف أن أتفرغ للبحث العلمي في بلد أوروبي، وما أن وصلته حتى سعيت إلى الحصول على كتاب تَعَذّر حصولي عليه في الأردن. وكان ذلك الكتاب أحد المجلدات الضخمة التي شرعت دار موتون للنشر، في لاهاي، في إصدارها منذ عقدين من الزمان أو يزيد، وخصصت كل مجلد لجانب من جوانب علوم اللسان الحديثة. أما المجلد الذي حرصت على قراءته فكان المجلد الثالث عشر من هذه السلسلة، الذي خصص لتاريخ الدراسات والعلوم اللسانية عند مختلف الشعوب والأمم [1]. وكان مصدر اهتمامي بهذا المجلد هو رغبتي في الاطلاع على ما كتب فيه عن تاريخ الدراسات اللغوية واللسانية عند العرب. وما أن أطلعت على هذا الجزء من الكتاب وقارنته بما جاء فيه عن أمم أخرى، حتى أصابني الذهول؛ فقد تبيَّن لي أن المقالة الخاصة بالدرس اللساني عند العرب قد أُسْنِدَت إلى يهودي إسرائيلي، لم يجد ما يقوله عن ذلك التراث العربي العريق، الممتدّ عبر قرون عديدة، سوى إحدى عشرة صفحة، أضاف إليها ثماني صفحات من المراجع؛ فكانت المقالة في مجملها تسع عشرة صفحة، من بين ألف وخمسمائة وثماني عشرة صفحة، هي مجموع صفحات الكتاب[2]. هذا في حين استغرق الحديث عن المدرسة البنيوية الأمريكية، التي لا يتجاوز عمرها نصف قرن، ما مجموعه مائتان وأربع وسبعين صفحة من الكتاب ذاته، كما استغرق الحديث عن الدرس اللغوي عند اليهود ستّاً وأربعين صفحة. وباختصار، فقد كانت المقالة الخاصة بعلوم اللسان عند العرب أقصر المقالات العشرين التي ضمّها جزءا الكتاب الضخم، بل أكاد أقول إنها كانت أردأها.

وقد ازدادت دهشتي حين تحولت لقراءة الجزء الخاص بتاريخ النحو العبري،

الذي كتبه يهودي بالطبع[٣]، فوجدت أن تلك المقالة لا تمتّ بصلة إلى موضوع الكتاب. لقد كانت هذه المقالة سرداً مفصلاً لتاريخ اللغة العبرية، وليس لتاريخ الدراسات اللغوية عند اليهود؛ ولا أدري كيف عَمِيَ محرر الكتاب، أو تعامى، عن هذه الحقيقة، وأدرج هذه المقالة في كتابه. عندها أردت أن أجد الجواب عن هذا التساؤل الذي لم أكن أعرف عنه الكثير، فأخذت أفتش عن بعض المصادر والمراجع التي تعينني في معرفة شيء عن تاريخ النحو العبري. وما أن فرغت من قراءة كل ما استطعت العثور عليه، حتى تكوَّنت لدي قناعة بأن المقالة المذكورة عن الدرس اللغوي عند اليهود إنما كتبت بالشكل الذي جاءت عليه كيلا يعرف القارئ أن النحو العبري نشأ ونما واكتمل في كنف النحو العربي وبفضله. ومن ذا الذي يريد أن يعترف، في عام ١٩٧٥، بأن كان للعرب فضل على اليهود في أي وقت، خصوصاً إذا كان الكاتب يهودياً؟. ولم يذكر الكاتب العرب أو أثرهم إلا في عبارات قليلة معدودة على الصفحتين ١٣٠٨- ١٣٠٩، كمثل قوله بأنه كان للعربية أثر على العبرية في القرون الوسطى، حين دخلت الثانية بعض المفردات من الأولى، ويورد للتدليل على ذلك بعضاً من المصطلحات الفلسفية، التي يقول أنها ترجمة لمصطلحات عربية، أخذها العرب بدورهم من اللغة السنسكريتية. وفيما عدا ذلك لم يشر الكتاب على الإطلاق بشيء إلى نشأة النحو العبري وتطوره، ولا يشير حتى إلى أي من المصادر التي تعالج ما قصر هو في معالجته.

وسأحاول في الصفحات التالية أن أسرد، بشيء من الإيجاز الذي لا بد منه، قصة نشوء الدراسات اللسانية العبرية وتطورها، معتمداً في أغلب الأحيان على مصادر ألّفها يهود؛ ثم أترك للقارئ بعد ذلك استخلاص النتيجة التي يراها عن أثر النحو العربي في نشأة النحو العبري وتطوره.

نشأة النحو العبري

لاحظ الدارسون لنشأة النحو عند أمم كثيرة أن هذه النشأة ترتبط عادة بالخوف على تراث لغوي للأمة من الضياع أو الفساد أو الخلل. وقد يكون هذا التراث اللغوي أدبياً، كما قد يكون دينياً. هكذا كانت النشأة الحقيقية للنحو الإغريقي في الإسكندرية في القرن الثاني قبل الميلاد وبعده، حين بعُدَ العهد بأشعار هوميروس، وأصبح من العسير فهمها، لاختلاف لغتها عن لغة العصر الذي كتب فيه النحو اليوناني.[٤] فكانت الغاية من كتابة النحو حفظ الأدب اليوناني القديم، وجعل دراسته ميسورة، وفهمه ممكناً. كذلك كان الحال عند العرب، الذين ما أن أحسوا بالتغير يعتور لغتهم من كل جانب بعد الفتوحات الإسلامية، حتى نهضوا لتدوين لغتهم وكتابة نحوها حفاظاً على القرآن الكريم، ونجد مثل ذلك حين نتتبع نشوء النحو عند الهنود وغيرهم من الأمم.

وأول ما يلحظه المرء عند دراسته لتاريخ النحو العبري هو تأخره الطويل في الظهور؛ فالمعروف أن الخلل بدأ يتسرب إلى اللغة العبرية بعد السبي البابلي وتخريب الهيكل، في القرن السادس قبل الميلاد، مما نشأت عنه حاجة للتأليف في النحو. ومن الطريف في الأمر أن هذا هو القرن الذي يعتقد بعض المؤرخين أن النحوي الهندي العظيم "باتيني" قام فيه بكتابة نحو اللغة السنسكريتية ذي الأجزاء الثمانية، والذي ما زال يعتبره علماء اللسانيات مثلاً يحتذي في كثير من أبوابه ومناهجه.

لقد مضى على اليهود قرابة ستة عشر قرناً منذ حادثة السبي البابلي، التي كان يصح أن تكون سبباً في نشوء نحو عبري، قبل أن يصبح لهم نحو بالمعنى المقصود بالنحو. غير أنه لا بد، قبل التعرض لذلك بالتفصيل، من الإشارة إلى بعض الدراسات اللغوية، وليس النحوية، التي سبقت عصر تدوين النحو العبري.

كانت الدراسة اللغوية اليهودية قبل نشوء النحو العبري تنصبّ على التوراة؛ وقد نشأ بتعاقب الأجيال تراث ضخم من هذه الدراسات، التي تعرف باسم "المازوره"؛ غير أن هذه الأعمال لا يمكن أن تحسب في عداد الدراسات النحوية، لأنها تقتصر على البحث في الحركات والضوابط التي تعين على قراءة التوراة قراءة صحيحة، وعلى إحصاء بعض الصيغ والحروف في التوراة،[٥] دون أن يؤدي بهم ذلك إلى البحث في اللغة واستنباط قواعدها وأحكامها. في هذا الصدد يقول هيرشفيلد إن "هذه المحاولات جميعها كانت لخدمة الأغراض الدينية، ومن المشكوك فيه أن اليهود كانوا سيفطنون إلى وضع نحوهم، لولا إلحاح المؤثرات الخارجية عليهم للقيام بذلك."[٦]. فما هي تلك المؤثرات الخارجية التي جعلت اليهود يكتبون نَحواً لهم بعد كل هذه القرون من الغفلة وفتور الهمة؟

هناك إجماع تام بين المؤرخين للنحو العبري الذين رجعت إليهم، وكلهم من اليهود، على أن النحو العربي كان هو الحافز لنحاة العبرانية على تأليف كتبهم، كما كان المثل الذي احتذوه عند التأليف، بكل دقائقه وتفصيلاته. هذا في حين نجد أن كتب تاريخ النحو والطبقات العربية، قديمها وحديثها، تسكت عن أي ذكر للأثر العربي في النحو العبري، مع أن هذا النحو يصح أن يُعَدّ، من حيث منهجه وأسلوبه، جزءاً من التراث النحوي للعرب، لأن كثيراً منه كتب بالعربية، في بلاد عربية وفي ظل الحكم العربي؛ كما أن التأليف فيه، كما سنبيّن فيما بعد، كان يحاكي المؤلفات العربية ويقتفي خطاها. ولم أعثر فيما كُتب بالعربية على إشارة للأثر العربي في النحو العبري، إلا في كتاب واحد[٧] استقى مؤلفه جل معلوماته عن هيرشفلد. هذا علاوة على إشارات مبتسرة كثيراً، فيما كتبه بعض العرب من مقدمات المؤلفات وكتب تعليمية في اللغة العبرية.[٨]

يعتقد هيرشفلد أن بداية الأثر العربي كانت في بغداد، حين أصبحت في القرن الميلادي الثامن وما تلاه من قرون مركزاً لمختلف العلوم والمعارف، ومنها النحو، واجتمع فيها، في جملة من اجتمع، نفر من النحاة وعلماء اللغة، أخذوا يلقنون علومهم للدارسين، الذين لا بد كان بينهم بعض اليهود والعرب. ويضيف هيرشفلد بأن هناك دلائل أكيدة على الأثر العربي في المؤلفات النحوية العبرية الأولى، حيث أسماء الحركات وحروف العلة في هذه المؤلفات هي نفسها في المؤلفات العربية؛ بل إن كتب اليهود النحوية الأولى كُتِبت بالعربية، واستخدمت مصطلحات النحو العربي، واتبعت النسق الذي كان يتبعه النحاة العرب في كتبهم.[٩].

أما عن النحو العبري في الأندلس، فيقول وليام تشومسكي بأن العصر الوسيط في إسبانيا، أي فترة الحكم العربي للأندلس، كان هو العصر الذهبي في تاريخ اليهود. فقد كان ذلك العصر غنياً بالفلاسفة والشعراء والعلماء. ويتطلع اليهود إلى ذلك العهد دائماً، يستوحون فكره ويستمدون منه العزم. ولعل أعظم ما قدمه ذلك العصر كان في ميدان النحو العبري، الذي أصبح أكثر العلوم شيوعاً، وبلغت المؤلفات فيه من الغزارة حدّاً لم يعرفه أي عصر آخر في تاريخ اليهود، سواء من حيث الكم أو من حيث النوع والأصالة. وعليه، فمن اللائق أن يطلق على ذلك العصر "العصر الذهبي للنحو العبري."[١٠]. وتذهب دائرة المعارف اليهودية إلى أبعد من ذلك، حين تؤكد أن النحو الذي وضعه اليهود أبان الحكم العربي، بمحاكاتهم للنحو العربي ومؤلفاته، كان ولا يزال النحو الوحيد لهم، الذي تَأتَّى من دراستهم للغة العبرية واستقصائهم لها. [١١].

الأثر العربي في النحو العبري

يعتبر سعديا، وهو سعيد بن يوسف الفيومي، الذي عاش فيه النصف الأول من القرن العاشر الميلادي، أبا النحو العبري؛ إذ لم يصل إلينا أي أثر في النحو العبري لمؤلف قبله. ومن المتفق عليه أن سعديا قد كتب ما كتب، وهو كثير لم يصلنا منه سوى القليل، بتأثير من الثقافة العربية الإسلامية التي عاش في كنفها وتمثلها بعد أن تتلمذ لبعض أعلامها.[١٢] بل إن أحد المصادر يذهب إلى حد القول بأن سعديا، الذي نشأ وتعلم في العراق قبل رحيله إلى مصر، كان يتنازعه مذهبا البصرة والكوفة، وإنه انتهى في النهاية إلى تغليب مذهب البصريين في الأخذ بالقياس في الأمور الدينية، في حين اتجه إلى الأخذ بالمذهب الكوفي في المسائل النحوية. [١٣] أما الآثار التي نعرفها لسعديا فهي قاموس للغة العبرية القديمة، ومجموعة مقالات في النحو أطلق عليها اسم (كتب اللغة)، وكانت أول محاولة معروفة لكتابة نحو لعبرية التوراة. وقد كتب هذه الآثار جميعها، مثلها مثل كل المؤلفات اليهودية اللغوية التي تعود إلى القرن العاشر الميلادي، باللغة العربية؛ بل إن سعديا يقلد في كتبه أسلوب العرض العربي، ويعرض مادته بأسلوب الكتب العربية

نفسها.[١٤] وباستثناء كتب سعديا فإن مؤلفات هذه الحقبة أُلّفت جميعها في الشطر الغربي من الدولة الإسلامية، في شمال أفريقيا والأندلس. وممن عاصروا سعديا وكتبوا مثل كتبه يهودا بن قريش، الذي عاش في شمال أفريقيا في الربع الثاني من القرن العاشر، وهو صاحب رسالة حاول أن يقارن فيها بين الألفاظ العبرية والآرامية في التوراة؛ ثم دوناش بن تميم، الذي عاش في الفترة نفسها في القيروان، وألّف كتاباً بالعربية عن الصلة بين المفردات في العربية والعبرية؛ ودادود بن إبراهام، المغربي الفاسي، صاحب أول معجم شامل بالعربية لألفاظ اللغة العبرية، وغير هؤلاء آخرون وضعوا كلهم بالعربية، كما أسلفنا، مؤلفات معجمية، وتطرقوا قليلاً إلى موضوعات نحوية متفرقة.

على أن عصر النحو العبري الحق لم يبدأ إلا في أوائل القرن الحادي عشر الميلادي في الأندلس، التي يعود إليها غالبية المؤلفات النحوية العبرية لذلك العهد؛ كما أن هذه المؤلفات جميعها، في إسبانيا وفي غيرها من البلدان، كتبت بالعربية. كما اكتملت في هذه الفترة، التي تمتد حتى حوالي منتصف القرن الثاني عشر، الدراسات النحوية التي شملت عبرية التوراة بجوانبها المختلفة كافة. ومن أول الأسماء التي لمعت في هذا العصر اسم يهودا بن حيوج، الذي عاش في مدينة فاس في أواخر القرن العاشر الميلادي وأوائل الحادي عشر.

كان النحو العبري قبل ابن حيوج يتصف بالإغراق في التكهن، مع الإقلال من النظر في اللغة ذاتها لاستنباط قوانينها وقواعدها، ويعد ابن حيوج أول نحاة العبرية الذين أقاموا نحوهم على أسس علمية، مما حدا بإبراهام بن عزرا، من نحاة القرن الثاني عشر، أن يلقب ابن حيوج بإمام النحاة.[١٥] ولا شك أن أهم أعمال ابن حيوج هو كشفه عن الأصل الثلاثي للألفاظ العبرية في كتابين، هما: "كتاب الأفعال ذوات اللين" و"كتاب الأفعال ذوات المثلين"، تحدث في الأول منهما عن الأفعال التي يكون أحد حروفها الأصلية حرف علة، وهي الفعل الناقص والأجوف والمثال؛ وبحث في كتابه الثاني في الأفعال المضعفة، ورد هذه وتلك، كما ردّ

غيرها من الأفعال والألفاظ العبرية، إلى أصل ثلاثي. ومرة أخرى نجد المصادر تُجمع أن ذلك ما كان ليتم لولا مؤلفات النحاة العرب[١٦]، الذين عرفوا الأصل الثلاثي للألفاظ العربية، وأصبح من المسلم به عندهم، منذ الخليل في القرن الثامن الميلادي، أي قبل مؤلفات ابن حيوج بنحو ثلاثة قرون. والغريب في الأمر أنه بالرغم من هذا الاكتشاف المتأخر للأصل الثلاثي فإن ابن حيوج واجه موجة عنيفة من الاعتراض والاحتجاج على نظرياته، كان أبرز أبطالها دوناش بن الأبرد. وبقيت نظرية الأصل الثلاثي للألفاظ العبرية مجهولة لدى اليهود خارج الأندلس، إلى أن جاء الوقت الذي ترجمت فيه كتب الأندلسيين إلى اللغة العبرية بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان. ورغم المعارضين فقد شاعت أعمال ابن حيوج بين نحاة اليهود، وأصبحت موضع درس عميق ونظر متفحص؛ وكتب بعضهم مدافعات عن آراء ابن حيوج، ودافع هو عن نفسه في أكثر من كتاب؛ ولعل أبرز نتائج هذه المعارك والمساجلات النحوية كان تمهيد الطريق أمام كتابة أول نحو عبري شامل، على يد النحوي اليهودي الشهير أبو الوليد مروان بن جناح، المولود في قرطبة في الثمانينيات من القرن العاشر الميلادي، فكان بذلك من معاصري ابن حيوج. وقد كان من أول مؤلفاته "كتاب المستلحق"، ألّفه ليستدرك على ابن حيوج بعض ما فاته في مؤلفيه الآنفي الذكر، وليفنّد بعضاً من نظريات ابن حيوج وآرائه. وقد أثار "كتاب المستلحق"، لابن جناح، موجة من التآليف لعدد من النحاة بين معترض ومؤيد؛ وقد كتبت هذه المؤلفات جميعها بالعربية، حتى أن واحداً من هذه الكتب استشهد بأبيات كثيرة من الشعر العربي.[١٧] وأهم قضية دارت حولها هذه المساجلات الكثيرة كانت الاختلاف في أصل الألفاظ: أثلاثي هو أم ثنائي؟ كما أنها كانت عاملاً في إغناء النحو العبري، بتدقيق النظر في بعض موضوعاته،

واستكمال أبوابه، والتعمق في دراسته.

ولا مراء في أن أعظم مؤلفات ابن جناح كان مؤلفه الموسوم "كتاب التنقيح" الذي يتألف من قسمين: "كتاب اللمع"، ويبحث في نحو العبرية القديمة، و"كتاب الأصول"، وهو معجم للغة التوراة. ويشكل الكتابان معاً أول دراسة شاملة متكاملة لعبرية التوراة، كما أنهما يعتبران، دون أدنى ريب، قمة الدراسات اللغوية العبرية في عصرهما؛ وقد كتب ابن جناح كتابه باللغة المعروفة بـ"العربية العبرية"، وهي نمط من اللغة العربية كان يكتبه يهود الأندلس العربية بالحروف العبرية.

أما عن الأثر العربي في هذا المؤلف فهو أوضح من أن يحتاج إلى بيان؛ ويبدو الأثر واضحاً جلياً من مقدمة الكتاب حتى نهايته. إذ ينافح ابن جناح عن النحو في مقدمة كتابه، ويبين ضرورته، وأهميته للدين وفهمه ودراسته، بصورة تذكِّرنا بمقدمات كتب النحو العربي؛ كما يعلل ابن جناح تأليفه للكتاب بالعربية على أنه نابع من افتقار اللغة العبرية في ذلك العصر إلى المصطلحات النحوية اللازمة للتأليف في مثل هذا الموضوع.[١٨] كما يتضح الأثر العربي أيضاً في الشرح المستفيض للأصل الثلاثي للألفاظ العبرية، الذي اقتبسه ابن جناح عن العرب دون أي شك، والذي من أجله وضع كتاب "الأصول". وبلغ الأثر العربي حداً جعل ابن جناح معه يلجأ إلى اللغة العربية يستمد منها الحجة والدليل، للتدليل على صحة آرائه والبرهنة عليها، لأن اللغة العربية، على حد قوله، هي أقرب اللغات إلى العبرية. ولعل خير ما يدلل على الأثر البعيد للنحو العربي في فكر ابن جناح هو تلك الثروة الكبيرة من مصطلحات النحو العربي التي استخدمها في "كتاب اللمع"، في معرض تأليفه للنحو العبري، ومن أمثلة ذلك: الاعتلال، والتصريف، والمجاز، والاشتقاق، وأقسام الكلام الثلاثة: الاسم والفعل والحرف، والفاعل، والمفعول به،

والاسم بنوعيه: المفرد والمركب، والإضافة بضربيها: اللفظية والمعنوية، والتمييز، والمصدر؛ وغير ذلك كثير ازدحمت به صفحات كتاب اللمع. وبالنظر إلى ذلك كله فليس من الشطط ولا من المغالاة القول بأن كتاب اللمع هو كتاب نحو عربي، في لغته ومنهجيته ومصطلحاته وقواعده، بل حتى في أبوابه وتبويبه، سوى أن الأمثلة التي أوردها المؤلف على ذلك كله كانت من اللغة العبرية، لا من اللغة العربية.

وما قيل عن ابن جناح يقال في غيره من معاصريه من النحاة اليهود، ويكفي أن نسرد بعض المؤلفات في هذا العصر لنتصور المدى الذي تَشَبَّع به النحو العبري بالنحو العربي. فقد أَلَّف إسحق بن يشوش، في مدينة طليطلة، "كتاب التصريف"؛ ووضع موسى بن شموئيل جيقاتيلا القرطبي "كتاب التذكير والتأنيث"؛ في حين كان "كتاب حروف المعاني" من نصيب يهودا بن بلعم، الذي اشتهر في طليطلة، وأصبح من أعلام النحو العبري فيها، كما عرف بشغفه بالأدب العربي، شعره ونثره.[١٩] ومن مؤلفات ابن بلعم أيضاً "كتاب الأفعال المشتقة من الأسماء"، و"كتاب التجنيس". وفي الربع الأخير من القرن الحادي عشر وضع إسحق بن بارون "كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية واللغة العربية"[٢٠]، ولعل من أطرف المؤلفات في هذه الفترة المنظومة النحوية التي نظمها سليمان بن جبيرول شعراً بالعبرية،[٢١] والتي تذكرنا بألفية ابن مالك الشهيرة. والذي توحي به هذه المؤلفات وأمثالها أن نحاة العبرانية لم يقلدوا المنهج العربي في التأليف النحوي وحسب، بل وكأني بهم كانوا كلما قرأوا مؤلفاً عربياً في اللغة والنحو بادروا إلى تقليده، وتطبيق أفكاره ونظرياته على لغتهم. ولا شك في أن التشابه الكبير بين اللغتين العربية والعبرية كان من العوامل المساعدة لهم في ذلك كثيراً، وإلا فكيف

نفهم هذا التطابق بين أسماء عدد كبير من كتب النحو العبري ومؤلفات بعينها في النحو العربي؟ بل إن هناك من يذهب إلى أبعد من ذلك ليؤكد بأن بعض علماء المسلمين كانوا "يعينون اليهود على إنشاء نحو لغتهم."[٢٢] فإن صح هذا الأمر، وليس فيه غرابة على أي حال، فإنه يفسر لنا هذه الظاهرة، ظاهرة التأثير والتأثر التي تكاد تكون أقرب إلى النقل المباشر، والتي لم يُعْرَف مثلها في تاريخ النحو، في أي مكان أو عصر آخر.

وهناك أمر آخر وأخير له دلالته على أهمية الأثر العربي في الدرس اللغوي العبري، وعمق هذا الأثر، وهو أن هذه النهضة اللغوية التي حققها يهود الأندلس إبان الحكم العربي لم يعرف لها مثيل بين اليهود في أقطار أوروبة المجاورة للأندلس، مثل إيطاليا وفرنسا وألمانيا، حتى في ذلك القسم الواقع تحت حكم الفرنجة من إسبانيا، حيث كانت تعيش أعداد كبيرة من اليهود. بل إن هذه الجاليات اليهودية الأوروبية لم تكد تعرف شيئاً من التأليف النحوي في اللغة العبرية، ولا تناهى إليها جانب من النظر اللغوي الذي قام في الأندلس، لجهلهم باللغة العربية التي كانت، كما رأينا، لغة التأليف عند النحاة اليهود جميعهم، إلى أن قيضت الظروف السياسية والتاريخ لبعض اليهود، من المهتمين بالنحو في الأندلس، القيام بترجمة أهم الأعمال الأندلسية في النحو العبري إلى العبرية في أغلب الأحيان، وإلى اللاتينية في بعضها الآخر.

نشأت الظروف التي أدت إلى انتشار نحاة الأندلس اليهود في أوروبة عقب ما يعرف بالفتنة البربرية (١٠٠٩- ١٠١٢م) التي قضت على وحدة الأندلس، وأدّت إلى قيام عصر ملوك الطوائف؛ ذلك العصر الذي اتسم بالتشتت والتفرق، وبالتنازع بين الممالك المختلفة، واستمر حتى عام ١٤٩٢، بسقوط آخر هذه

الممالك، وانتهاء الدولة العربية في الأندلس.

وقد أصاب اليهود، وحل بهم وبعلمائهم، ما أصاب المسلمين وحل بهم وبعلمائهم؛ فقد "قضت الفتنة البربرية على كثير من العلماء بالموت أو بالهجرة من الأندلس إلى خارجها"، كما "أصبحت حياة العالم أو الأديب في هذا العصر، من ناحيتها المعاشية، قائمة في الأكثر على التجوال المستمر، والاحتماء ببلاطات الأمراء".(٢٣) إذن فقد ارتحل بعض نحاة اليهود ليعيشوا بين أبناء جلدتهم في الأقطار الأوروبية المجاورة، وارتحل معهم نحوهم بكل سماته العربية، وأخذوا في نشره في الأقطار التي ارتحلوا إليها بالترجمة إلى العبرية أو اللاتينية حيناً، وبالتلخيص حيناً، وبالتأليف على غرار نحاة الأندلس بلغات غير العربية حيناً آخر. وهكذا يكون هذا العصر من عصور النحو العبرية امتداداً للأثر العربي وتوطيداً له، وقد خلا أو كاد من أية إضافة جديدة أو أصالة. ولعل أهم ما تميزت به هذه الفترة هو ترجمة المصطلحات النحوية العربية التي امتلأت بها كتب ابن حيوج وابن جناح، ووضع مقابلات عبرية لها، لا تزال هي المعتمدة في النحو العبري حتى يومنا هذا. كما أن كتب النحو واللغة التي ترجمت إلى العبرية في هذه الفترة ظلت منذ ذلك الحين وحتى الآن هي المثال الذي يُحتَذَى في تأليف كتب النحو العبري وتعليمها، وفي وضع المعاجم العبرية؛ كما أنها اختطت لليهود المنهج الذي يسيرون عليه في تناول قضايا النحو واللغة في العبرية. وبعبارة أخرى فإن الأثر العربي في النحو العبري ظل ثابتاً لم يتزحزح، وإن كان يبدو الآن أقلّ وضوحاً لطول العهد به، ولما اعتراه من متغيرات وعوارض نجمت عن الترجمة، وعن اعتماد العبرية أساساً في التأليف، ولما قد يغيب عن نظر الناظر حين يتأمل في المصطلح النحوي العبري بعد أن لم يعد عربياً في لغته، وإن كان كذلك في أصوله

الأولى.

ويطول بنا المقام إن نحن تتبعنا حركة الترجمة في هذا الصدد؛ لذلك سنكتفي باستعراض بعض الأمثلة نستدل بها على نوع الكتب المترجمة والمؤلفة، وما قد كان لها من أثر على الأجيال اللاحقة من مؤلفي كتب النحو العبري ودارسيها. مثالنا الأول هو إبراهام بن عزرا، ولد في مدينة طليطلة العربية الأندلسية في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي، ودرس العلوم العربية والعبرية دراسة متمكنة، وقضى السنوات العشرين الأخيرة من حياته (١١٤٠-١١٦٠م) متجولاً في فرنسا وإيطاليا، وقد ألف في أثناء تجواله عدداً من كتب النحو بالعبرية؛ ولم تكن هذه الكتب في الحقيقة سوى تلخيصات ومختصرات لكتب ابن حيوج وابن جناح وغيرهما من نحاة الأندلس.[٢٤] كذلك قام نحوي آخر هو سليمان بن برحون بتأليف كتاب في النحو في إيطاليا، لم يكن سوى ترجمة أمينة لأفكار ابن حيوج وابن جناح إلى الدرجة التي ظن بعضهم معها أن ذلك الكتاب كان ترجمة لمؤلفاتهما.[٢٥] أما الترجمة فقد انصب معظمها على كتب ابن حيوج وابن جناح أيضاً، فترجمت أعمالهما أكثر من مرة في الأقطار الأوروبية المختلفة، وكان أول من ترجم المؤلفات النحوية العبرية، الموضوعة بالعربية، إلى اللغة العبرية هو الكاهن موسى جيقاتيلا. وقام إبراهام بن عزرا بالعمل نفسه في روما حوالي ١١٤٠م. وترجمت الكتب نفسها ثالثاً ورابعاً في أماكن أخرى من أوروبا، كما ترجمت بعض كتب ابن بلعم في أواخر القرن الثاني عشر.

أما عن التأليف في النحو العبري في العصر الحديث، سواء ما قام بتأليفه منها نحاة يهود، أم ما وضعه مستشرقون أوروبيون، فنكتفي بالاستشهاد في هذا المقام بما أوردته دائرة المعارف اليهودية في هذا الصدد، التي تشير إلى أن

الإضافات والتجديدات التي أدخلت على النحو العبري الأندلسي كانت جزئية وبسيطة، ولذلك فإنها تمثل استمرار للنهج الأندلسي في التأليف والنظر النحوي، ولم يستطع المحدثون حتى الآن أن يرقوا بالنحو العبري إلى مرحلة يتخطون بها المرحلة التي وصل إليها على أيدي النحاة الأوائل في الأندلس.(٢٦)

هذا العرض الوجيز لنشأة النحو العبري وتطوره أغفل أسماء وتفاصيل كثيرة، لم نهملها لأنها تتناقض مع الفكرة الأساسية لهذه المقالة بل تجنباً للإطالة والتكرار، وهي جميعها إنما تؤيد بقوة السبب الذي دعانا في البداية إلى القول بضرورة التعرض إلى نشأة النحو العبري وتطوره عند التأريخ للنحو والنحاة في العربية، وإلى اعتباره جزءاً من التراث النحوي العربي؛ لأنه كُتب بالعربية وانبثق عن نحوها، وترعرع في كنفه، لا يغيّر من تلك الحقيقة ولا يضيرها أن يكون نحواً جاءت أمثلتُه فحسبُ من العبرية، بينما جاء كل شيء آخر فيه من العربية.

الحواشي

(1) Thomas A. Sebeok, editor. Historigraphy of Linguistics Current Trends in Linguistic, Volume 13 (The Hague: Mouton, 1975).

(2) Haim Blanc. Linguistics among the Arabx. Pp 1265- 1283 in the above book.

(3) Nahum M.Waldman, The Hebrew Tradition. In Sebeok, op. cit., pp. 1286- 1330.

(4) R.H. Robins. Ashort history of Linguistic (London: Longman, 1967), P. 30.

(5) James Barr. Lingustic Literature, Hebrew, in Encyclopaedia Judaica Volume 16 (New york: Macmillan, 1972), p. 1354.

(6) Hartwig Hirschfeld. Literary History of Hebrew Grammarians and Lexicographers (Oxford: Oxford University Press. 1926) p. 6.

(٧) أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١)، ص ٥٠– ٥٧.

(٨) من هذه: د. محمد التونجي. اللغة العبرية وآدابها (القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٥)، ص ٢٧– ٤٠، ود. عوني عبدالرؤوف. قواعد اللغة العبرية (القاهرة: مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧١)، ص ١٦ وما بعدها. ود. ربحي كمال. دروس اللغة العبرية (بيروت، ١٩٧٨)، ص ٤٦ وما بعدها.

(9) Hirschfeld, op. cit., p. 7.

(10) William Chomsky. Herbrew, the Eternal Language (Philadelphla The Jewish Publication Society of America, 1975). P. 117.

(11) James Barr. Op. cit., p. 1335.

(12) Cf. E. Kautzsch. Gesenius Hebrew Grammar (Oxford University press 1910). P.19: William Bacher Grammar, Hebrew. In the Jewish Encyclopaedia (New York: Funk & Wagnalls, 1904- 1916), Volume 6.p.69 and Hirschfeld. Op. cit., p. 11.

(13) S. W. Baron. Hebrew Language and Letters. In Social and Religious History of the Jews. Volums 8 (New yourk: Columbia University Press, 1958), P. 34.

(14) Barr, op. cit., p. 1354.

(15) Hirschfeld, op. cit., p. 35.

(١٦) انظر، مثلاً، المصدر السابق نفسه.

(١٧) المصدر السابق، ص ٤٢.

(18) Edna A. Coffin. Ibn Janah's Kitab al- Luma': A Critique of Medieval Grammatical Tradition. Unhpublished ph. D. dissertation (Ann Arbor: University of Michigan, 1968), P. 21.

(19) Hirschfeld, op.cit., p. 58.

(20) Barr. Op. cit., pp. 1357- 1358.

(21) Hirschfeld, op. cit., pp. 49- 50.

(٢٢) هذا ما أورده البير مطلق في كتابه "الحركة اللغوية في الأندلس منذ الفتح العربي حتى نهاية عصر ملوك الطوائف" (صيدا وبيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٧)، ص ٢٦ نقلاً عن
Lèvi- Provencal. Histoire de l.Espagne Musulmane (Paris, 1950), pp 80- 81.

(٢٣) البير مطلق (المصدر السابق)، ص ٢٥٧.

(24) Barr, op. cit., p. 1358.

(٢٥) المصدر السابق نفسه.

(26) Barr, op. cit., p. 1391.

طريقتان لحساب ميل فلك البروج
(من إخراج محمد بن الصباح)

للدكتور عبد المجيد نصير
(عضو المجمع)

مقدمة :

فلك البروج هو الدائرة العظمى على القبة السماوية ، التي تمثل فلك الشمس في سنة كاملة . وهي تتقاطع مع خط الاستواء السماوي في نقطتين، هما نقطة الاعتدال الربيعي (نقطة الشرق) ونقطة الاعتدال الخريفي . ويكون فلك الشمس اليومي ، يوم الاعتدال الربيعي ، هو على وجه التقريب ، خط الاستواء السماوي . وكذلك الامر في يوم الاعتدال الخريفي ؛ وهما يومان يتساوى فيهما الليل والنهار . وبعد انقضاء يوم الاعتدال الربيعي ، تتقدم الشمس ببطء شمالا على فلك البروج ، ويكون مدارها لأي يوم من هاتيك الايام دائرة صغرى موازية لدائرة خط الاستواء السماوي . وتقطع هذه الدائرة الصغرى الافق في نقطة تبعد قليلا أو كثيرا عن نقطة المشرق . ومقدار القوس الافقي بين نقطة المشرق ونقطة تقاطع الدائرة الصغرى مع الافق تسمى ساعة المشرق ، ونرمز لها بالرمز θ .

والقوس θ يعتمد على خـط الطول الشمسي λ ، الذي يحدد موضع الشمس بالنسبة الـى فلك البروج ، وعلـى ϕ التي تقيس خـط العرض على الارض بالنسبة الى من يرصد الحركة . اما الفرق بين دائرتي خـط الاستواء وفلك البروج فرمزه ε ويسمى ميل فلـك البروج . وهذا المقال يهتـم بمقياس مقدار ε اعتمادا على طريقتيـن منقولتين عن فلكي اسلامي اسمه محمد بن الصبـاح .

ومحمـد بن الصباح هو احد اخوة ثلاثة هـم محمد وابرهيـم والحسن ، اهتموا بالهندسة والفلك ، وكانـوا معاصرين لبني موسـى المشهورين ، في ايـام الخليفة المأمون ، كما يذكر فؤاد سيزكين [١] ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ . وذكرهم ابن النديـم والقفطي . ومن مؤلفات محمـد ابن الصباح : « رسالة في العمـل بساعة المبسوطة » و « رسالة فـي امتحـان موضع الشمس وميلها وساعة مشرقها وكمية مسارها » ؛ وينقل ابو نصر بن عراق مقتطفات من هـذه الرسالة ، ويعلق عليها فـي مخطوطته « رسالة في امتحـان الشمس » ، المنشورة ضمن مجموعـة « رسائل ابي نصر الـى البيروني » ، الصادرة عن هيئـة النشر الشرقية العثمانية بحيدرآباد بالهنـد . ولمحمد بن الصباح رسائل وكتب اخـرى بالاشتراك مع اخوتـه .

والذي نقدمه هنا هو نقـل عن كتاب البيروني « تحديد نهايـات الاماكن لتصحيح مسافات المساكن » المنشور في القاهرة سنة ١٩٦٢ [٢] . ويذكر فيه ، ابتداء من ص ١٤٦ ، (ص ١٤٩ بالمخطوطة) الى ص ١٥٥ (ص ١٦٠ بالمخطوطـة) طريقتين لاستخراج سعـة المشرق الكلـي ، ينسبهما البيروني الى محمد بن الصباح ، نقلا عن استاذه ابـن العراق . ونحـن نقدمهما محققين .

مبـــادىء فلكيـــة :

في الشكل الاول نقدم بعض المبادىء الفلكية اللازمة . وتبين س موضع الشمس في اليوم ذي اطول نهـــار ، اي تقاطع مـــدار السرطان مع فلك البروج . يكون مـــدار الشمس في ذلك اليوم دائرة صغرى يقع القطـــب الشمالي في موضع قطبهـــا . وهذه الدائرة مماسة ايضا لدائرة السرطان . وتقاطع تلك الدائرة مع الافـــق هو النقطة المسماة $\theta_{ع}$ (θ العظمى) وتمثل اعظـــم قيمة لساعة المشرق . فاذا رسمنا دائرة صغرى اخـــرى تمـــر بالنقطة $\theta_{ع}$ ، وقطبها هو النقطة ش ، فانهـــا تمثل دائرة ساعة المشرق . والآن نسقط دائرة فلـــك البروج على دائرة ساعـــة المشرق . افرض نقطة مـــا ، $\lambda_{م}$ ، على فلك البروج . اسقط $\lambda_{م}$ على الافـــق لتحصل على $\theta_{م}$ برسم دائرة صغرى توازي خـــط الاستواء . ثـــم اسقط $\theta_{م}$ على دائـــرة ساعة المشرق حسب دائـــرة صغرى توازي العمود الرئيسي ش ز ، لتحصل على النقطـــة هـ

وبهـــذا الاسلوب فان صورة نقطة الاعتدال الربيعي ع تصير ع′ ، ونحصل على ان درجات القوس ع′م تساوي درجات القوس ع $\lambda_{م}$ ، وهكذا لجميع النقـــاط على فلك البروج . ومعنى هذا ان حركة الشمس على فلك البروج يمكـــن ان يمثلها حركة على دائـــرة ساعـــة المشرق وبالسرعة نفسها . وهذا المبـــدأ الرياضي كان واضحا لمحمـــد بن الصباح لانه استعمله في طريقته ، ولـــو انـــه لم يبرهن عليه . للبرهان انظـــر المرجـــع [٣] .

طريقة محمد بن الصباح :

يذكر البيروني ان محمدا بن الصباح عنده طريق من الحساب لاستخراج سعة المشرق الكلي من رصد سعة ثلاثة مشارق ، على نهاية مدتين متتاليتين ، قد أرسله في مقالته مجردا من غير برهان، وهو حسن ، وإن بنى أمره على تساهل . ويذكر البيروني حسابه ، ويستعمل أرصادا فلكية للتدليل عليه ؛ وفيما يلي نقدم البنية الجبرية الرمزية لما يذكره البيروني .

ورغم ما ذكره أعلاه عن اسقاط فلك البروج على دائرة ساعة المشرق ، فان البيروني لا يقيس الزوايا على دائرة فلك المشرق لصعوبة ذلك ، بل يقوم بالقياس على دائرة اخرى اسمها دائرة الميل ؛ فاذا أدير الافق حتى يصبح دائرة خط الزوال ومعامدا لخط الاستواء ، فان دائرة ساعة المشرق تصغر حتى تنطبق على دائرة الميل ذات نصف قطر يساوي جا ع . وعلى هذا فان القياسات على الميل هم للمسارات λ هي القياسات نفسها على دائرة ساعة المشرق من نقطة تقع على خط استواء الارض ، انظر الشكل (٢) .

وهنا ننبه الى ان العلاقات المثلثية التي استخدمها الرياضيون المسلمون والتي نقدمها فيما يتلو ، ونميزها بكتابتها ببنط غليظ ، مختلفة قليلا عن العلاقات المثلثية المستخدمة اليوم ، والعلاقة بينها هي جا أ = ل حا أ ، حيث

ل هو نصف قطر دائرة التعريف ، ونفرضه = ٦٠ في هذا المقال ، لان ٦٠ هي اساس النظام الستيني . والقياسات المذكورة هي بالنظام السيتني ،حيث الفاصلة المنقوطة (؛) تقوم مقام الفاصلة العشرية . مثلا :

٤١؛٥٥ ؛٦ (ستيني) = ٥٥ + ٤١ × ٦٠ + ٦ × ٦٠ × ٦٠ = ٢٤١١٥ (عشري) شا

وكما نعلم ،فان النظام الستيني يحوى درجات ،دقائق ،وثواني ،وهكذا .

والشكل (٣) منقول عن البيروني (ص ١٤٩) . فالدائرة الكبرى هي فلك البروج ونصف قطرها ر ،والدائرة الصغرى هي دائرة الميل ونصف قطرها ر' = جا ε ، حيث ε زاوية ميل فلك البروج .

افرض أ = λ ،وهو خط طول الشمس في وقت ما ،فان ميل λ هو أص ،وجيب أص يساوي س ومن المثلثات المتشابهه فان

$$\frac{\text{جا } \lambda}{ر} = \frac{\text{جا } \delta}{ر'} = \frac{\text{جا } \delta}{\text{جا } \varepsilon}$$

ولأى رصدين ى ، ك بحيث ان ط ى = ى ط = ى ك فان س م = م ل . هذا مع افترا انتظام حركة الشمس . وهو من التساهل الذى يذكره البيروني .

ولاشتقاق الطريقة الاولى لابن الصباح ،فاننا نفرض دائرة الميل، الشكل(٤ وافرض الاقواس أب ، أجـ ، أدـ تمثل قياسات الرصد الثلاثة δ_1 ، δ_2 ، δ_3 على الترتي فان ب ج = ج د (الافتراض انتظام حركة الشمس ،ولان القياسات تؤخذ بين اوقا متساوية في فصل واحد) .

فان الاقواس د ز = د هـ = ٢ ب ج + ٢ أب = ٢ أ جـ .

لذلك ب هـ = ٢ جا δ_1 = $م_1$

د ز = ٢ جا δ_2 = $م_2$

ب ز = ٢ جا δ_3 = $م_3$

ويسمى البيروني م ز = د ب = و بالوتر المستخرج

د م = د ز – م ز = هـ د – ب د = هـ ب = $م_1$

وكذلك هـ ز = ب ز + ب هـ = $\frac{م_1^2 + م_3^2}{2}$ ، حيث اعتبرنا هـ ب ز خطا

وبتطبيق نظرية بطليموس على ب ز م د فان

$$م_2^2 = م_3 م_1 + و^2$$

$$ع^2 = م_2^2 - \frac{(م_1^2 + م_3^2)^2}{2}$$

ومنها و = ($م_2^2 - م_3 م_1$)$^{\frac{1}{2}}$ ، ع = $\frac{1}{2}\left[م_2^2 - (م_1^2 + م_3^2) \right]^{\frac{1}{2}}$

ومن تشابه المثلثين د هـ ب ، د ز ط فان

$$\frac{د هـ}{د ز} = \frac{د ب}{د ط} \text{ ، اى ان } \frac{ع}{م_2^2} = \frac{و}{2 ر} = \frac{و}{2 جا \frac{ه}{2}}$$

لذلك جا $\frac{ه}{2}$ = $\frac{و \cdot 2م}{ع 2}$

او ، = معكوس جا $\frac{و \cdot م_2}{ع 2}$

الرصد الفلكي

تتطلب هذه الطريقة ثلاثة ارصاد على فترات متساوية وفي الربع ذاته . ولذلك فان البيروني قام بالقياسات في مرصده بخوارزم (الآن تحت الحكم السوفيتي) ، حيث درجة العرض $\phi = 41^\circ 47'$.

وقاس الزوايا $\delta_م$ عند ساعة الزوال على فترات متساوية مدة كل منها ثلاثون يوما . والقياس الاول يوم الجمعه بتاريخ ٢ مرداد سنة ٣٨٥ (بعد يزدجرد الموافق ٣ صفر سنة ٧٠٤ للهجرة والموافق ١١ تموز سنة ١٠١٦ م والقياسات هي

$\delta_1 = 28^\circ 21'$ ، $\delta_2 = 14^\circ 0'$ ، $\delta_3 = 12^\circ 30'$

على ان البيروني يبدل δ_1 ، δ_3 ليحفظ ترتيب الزوايا .

الحسابات

هناك بعض الاخطاء في الحسابات التي يذكرها البيروني في كتابه . وهو الارقام اما بالحروف على طريقة حساب الجمل ، او بالنظام العشري . الحسابات كما يذكرها البيروني ،ونضع بين حاصرتين < > الص يجب . ونرجح ان البيروني لم يخطىء . بل ان الخطأ قد جاء ربما من الذين حسبوا او كتبوا .

$م_1$ = ١٥ ، ٤١ ؛ ٦ والصحيح < ٤٧٥٥ ، ٦ >

$م_2$ = ٥٠ ، ١٠ ؛ ٢٩

$م_3$ = ٥٥ ، ٥٤٠ ؛ ٤٣

$\frac{م_1^4 + م_3^4}{2}$ = ٢٥ ، ١٨٠ ؛ ٢٥

وحسب النظام العشري فان $م_1$ = ٢٤٠٧٥ ثواني < ٢٤١١٥ >

$م_2$ = ١٠٤٥١٠ ثواني

$م_3$ = ١٥٨٠٩٥ ثواني

$\frac{م_1^4 + م_3^4}{2}$ = ٩١١٠٥ ثواني

$م_1^3 \cdot م_3$ = ٣٨١٢٤٦٠٩ روابع

$م_2^2$ = ١٠٩٤٠٣٤٠١٠٠ روابع

$م_2^1 - م_1^4 \cdot م_3^4$ = ٧١٣٧٨٧٩١٧٥ . < ٧١٠٩٨٧٩١٧٥ > روابع

و = ٨٤٤٢٧ < ٨٤٣٢٠ > ثواني

$م^2 - \frac{(م_1^4 + م_3^4)^2}{2}$ = ٢٦٤٠٢١٩٠٧٥ < ٢٦٢٢٢١٩٠٧٥ > روابع

ع = ٥١٣٨٣ < ٥١٢٠٨ > ثواني

ر = ٨٥٨٦٠ ثواني < ٨٦٨٦٠ > ثواني

ج = ٠ ، ٢٥ ، ٢٣° < ٣٣ ، ٢٨ ، ٢٣° >

تعليق

يعلل البيروني عدم دقة الجواب الى سببين :-

(١) افتراض انتظام حركة الشمس . وقد احتجناه من فرضنا ب ج = ج د . وهذا غير صحيح .

(٢) عدد الخطوات اللازمه لإستخراج الجواب كبير نسبيا ، مما يؤدى الى اغلاط في الحساب والتقدير . خصوصا من حساب الجذور والجيوب .

ونلاحظ ان البيروني ،رغم معرفته بالتساهل الموجود في هذه الطريقة لاعتمادها على فرض غير صحيح،فانه آثر ان يبرهن على عدم دقتها بالرصد والمثل العددى . وهذا مثل آخر على الدقة التي كان يتوخاها العالم المسلم ،وعلى حبه للتجربه ،وتحمله المشاق في سبيل ذلك .

الطريقه الثانيه

وللتغلب على مزالق الطريقة الاولى ، فإن البيروني يقدم لنا طريقا آخر ، وان كان لايجزم بصحة نسبته الى محمد بن الصباح لفساد في النسخه من مقالة ابن الصباح التي كانت وقعت بين يدى البيروني."فاستخرج ابو نصر بن عراق طريقا اما ان يطابق صحيح ذاك ،واما ان يكون طريقا ثالثا" . وهذا الطريق يحتاج الى رصدين للشمس وهي في ربع واحد . ولاشتقاق المعادلة الخاصة فان الخطوات المتبعة هي فيما يلي . انظر الشكل (٥) .

ارسم دائرة تمثل سعة المشرق ونصف قطرها يساوى جا ج ،ومركزها ع . افرض القوس أ ب سعة المشرق الاول - اى مقدار الرصد الاول - وخذ على المحيط القوس ب هـ ضعف القوس أ ب . وافرض القوس ب ج سعة المشرق الثاني - اى مقدار الرصد الثاني - وعين ز بحيث ان القوس ب ز ضعف القوس ب ج . نصف القوس

هـ ب ز في د . ونزل د ح عمودًا على الوتر ب ز .

فإذا ب هـ = ٢ جا $\frac{\theta_1}{2}$ = $م_1$

ب ز = ٢ جا $\frac{\theta_1}{2}$ = $م_2$

فإن ز ح = $\frac{م_1 + م_2}{2}$

وكذلك د ح = أ ب = ب ح = ب د

و = د ب = $\frac{م_1 - م_2}{2}$ = الوتر المستخرج

نصف الزاويه د ع ب بالمنصف ع ف . فإن الزاويه المركزية د ع ف تساوى الزاويه المحيطية ب ز د وهي الزوايه $\frac{\theta}{2}$. ويتمم ع د ف = تمام الزاوية

د ع ف = $90^\circ - \frac{\theta}{2}$

ولذلك فإن

$$\frac{\text{زد}}{\text{ز ح}} = \frac{\text{جا } 90}{\text{جا}(90 - \frac{\theta}{2})} = \frac{\text{ل}}{\text{جتا } \frac{\theta}{2}}$$

لذلك س = ز د = $\frac{\text{ل} \left(\frac{م_1 + م_2}{2} \right)}{\text{جتا } \frac{\theta}{2}}$

وفى المثلث ب د ز ، فإن

و^2 = ب د^2 = ب ز^2 + ز د^2 − ٢ ب ز . د ز جتا $\frac{\theta}{2}$

= ر د^2 + $م_2^2$ − ٢ م . ($\frac{م_1 + م_2}{2}$)

= س^2 − $م_1$. $م_2$

$$\frac{و}{٢} = \frac{\sqrt{س^{٢} - ٢\ م_{١}\ م_{٢}}}{٢}$$

ومن المثلث ع ف د فان

$$ع\ د = جا\ \frac{\frac{ل \cdot و}{٢}}{\frac{جا\ ٥\lambda}{٢}}$$

اى ان $\Leftarrow$ = معكوس جا $\frac{ل}{\frac{جا^{2}\ ٥\lambda}{٢}}$

الرصد الفلكي والحساب

يذكر البيروني رصدين متتاليين بينهما ثلاثون يوما ،كما في الطريقة الاولى

$\delta_{١} = ١٢ ؛ ٥٣°$ $\qquad$ $م_{١} = ٤١٠\ ٥٥ ؛ ٦$

$\delta_{٢} = ٠ ؛ ١٤$ $\qquad$ $م_{٢} = ١٠\ ٥٠ ؛ ٢٩٠$

$\frac{م_{١}^{٢} + م_{٢}^{٢}}{٢} = ٣٢\ ٥١٠\ ؛١٧ \langle ٥٣\ ٥١٠\ ؛١٧ \rangle = \langle ٦٤٢٩٢ \rangle$ شواني

(الخطأ في معدل $م_{١}$ ، $م_{٢}$. والارقام مكتوبة بالاحرف ، مما يدل على انها خطأ اصلا ،وليست خطأ كتابيا لكن القيمة الصحيحة هي المستعملة بعد ذلك).

ومن زيج حبش ، يستخرج البيروني

$٥\lambda = ٢٩ ؛ ١٧°$

لذلك متمم ٥λ = $ه$ = $١٩٠٥٧ ؛ ٥٢° \langle ٤٢\ ٥٧٠\ ١٩٠ ؛ ٥٢° \rangle$.

(وليس لهذا الخطأ أثر فيما بعد لأنه لايستعمله).

$$\frac{\lambda\Delta}{2} = ٣٠ ، ٣٨ ؛ ١٤^\circ$$

$$\underline{جا} \frac{\lambda\Delta}{2} = ٥٩ ، ٩٠ ؛ ١٥ = ٥٤٥٩٩ \text{ ثواني}$$

$$٩٠^\circ - \frac{\lambda\Delta}{2} = ٣٠ ، ٢١ ؛ ٧٥^\circ$$

$$\text{حا} (٩٠^\circ - \frac{\lambda\Delta}{2}) = \underline{جتا} \frac{\lambda\Delta}{2} = ٣٠ ، ٠ ؛ ٨٥ = ٢٠٨٩٨٠ \text{ ثواني}$$

$$ل = ٦٠$$

$$س = \frac{٦٠ \times ٦٤٢٩٢}{٢٠٨٩٨٠} = ٥٥ ، ٢٥٠ ؛ ١٨ < ٣٢ ، ٢٧٠ ؛ ١٨ >$$

(والخطأ هنا في القسمة ،ويؤثر في الجواب الاخير).

$$س = ٦٦٣٥٥ < ٦٦٤٥٢ > \text{ ثواني}$$

$$٢ س = ٤٤٠٢٩٨٦٠٢٥ < ٤٤١٥٨٦٨٣٠٤ > \text{ روابع}$$

$$م_{١} م_{٢} . ٢ = ٢٥٢٠٢٥٨٦٥٠ \text{ روابع}$$

$$٣ س - م_{١} م_{٢} . ٢ = ١٨٨٢٧٢٧٣٧٥ < ١٨٩٥٦٠٩٦٥٤ > \text{ روابع}$$

$$و = ٤٣٣٩٠ < ٤٣٥٧٢ > \text{ثواني}$$

$$\frac{و}{٢} = ٢١٦٩٥ < ٢١٧٨٦ > \text{ثواني}$$

$$\underline{جا} \Leftarrow = ٨٥٨٢٨ < ٨٥٨٣٢ > \text{ ثواني}$$

$$= ٢٨ ، ٥٠٠ ؛ ٢٣ < ٣٢ ، ٥٠٠ ؛ ٢٣ >$$

وعليه فان $\Leftarrow = ٢٤٠٤٦ ؛ ٢٣^\circ < ٤ ، ٢٤٠ ؛ ٢٣^\circ >$

ولانعرف القيمة الصحيحة للزواية $\Leftarrow$ في ذلك الوقت لكي نقارن بين النتائج .

عرفان (يشكر المؤلف استاذه ادوارد كندى اذ قرأ المسودة وعلق عليها على اخطائها).

المصادر

(١) Sezkin , Fuat , Geschichte Des Arabischen Schriftums, Band V , Leiden , 1974.

(٢) البيروني ، ابو الريحان ، " تحديد نهايات الاماكن في تصحيح مسافات المساكن " طبع القاهره ١٩٦٢ .

(٣) Kennedy, E.S. and Sharkas , H., " Two Medieval Methods for Determining the obliquity of the Ecliptic", The Mathehmatics Teacher , Vol. LV No 4 , April 1962

(٤) Colliers Encyclopedia , Vol. 5 P604 , Macmillan Educational Corporation , New York.

(٥) القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن القاضي الاشرف يوسف ، " اخبار العلماء في اخبار الحكماء " دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت .

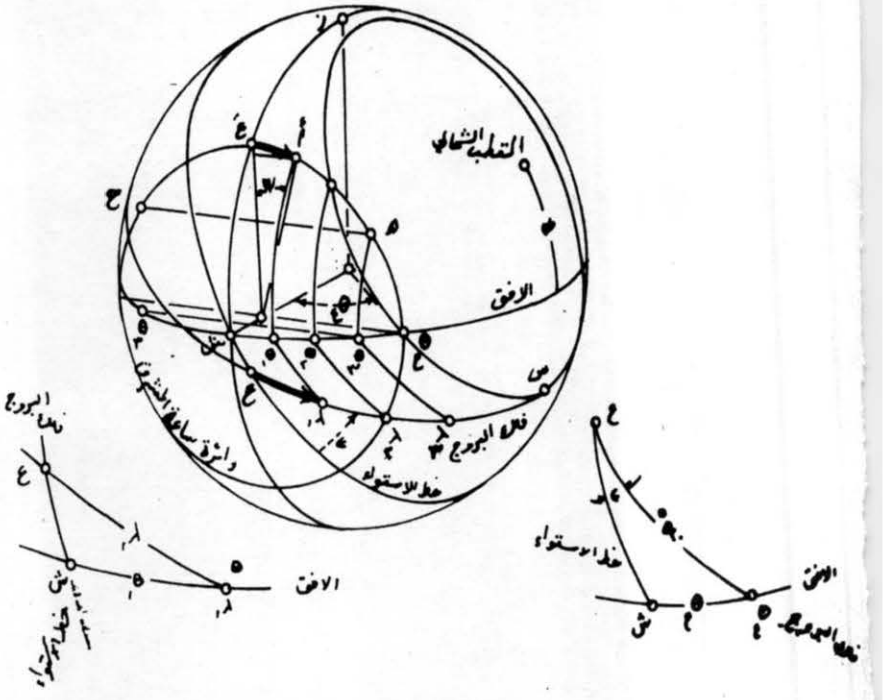

الشكل (١)

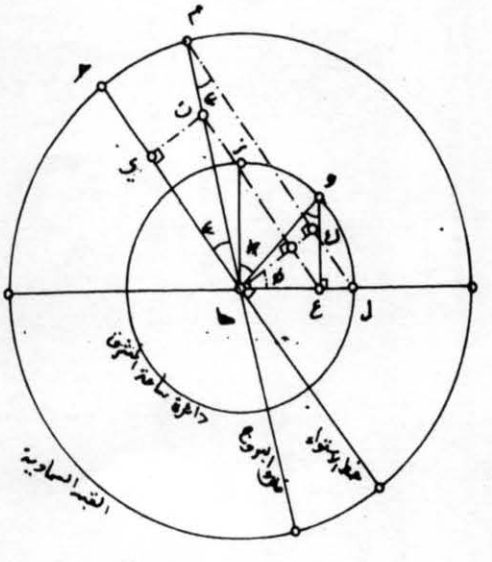

الشكل (٢)

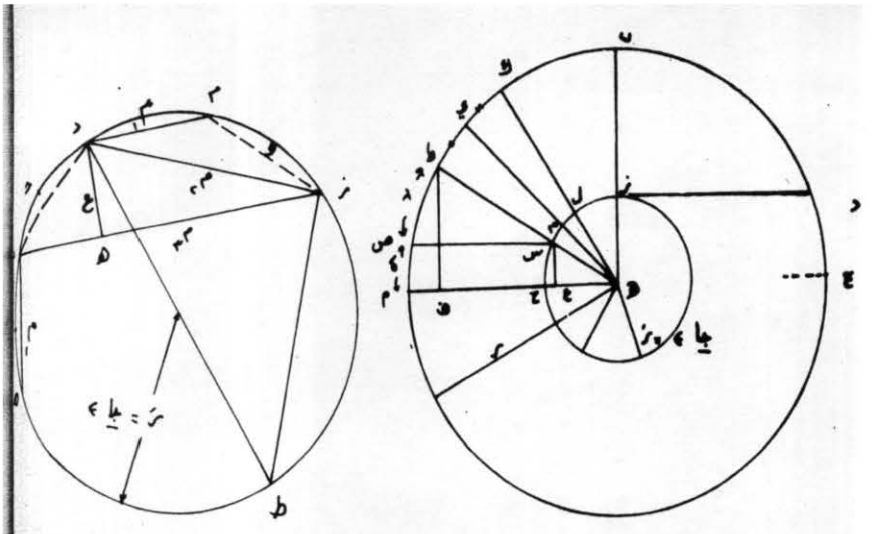

الشكل (٣)

الشكل (٤)

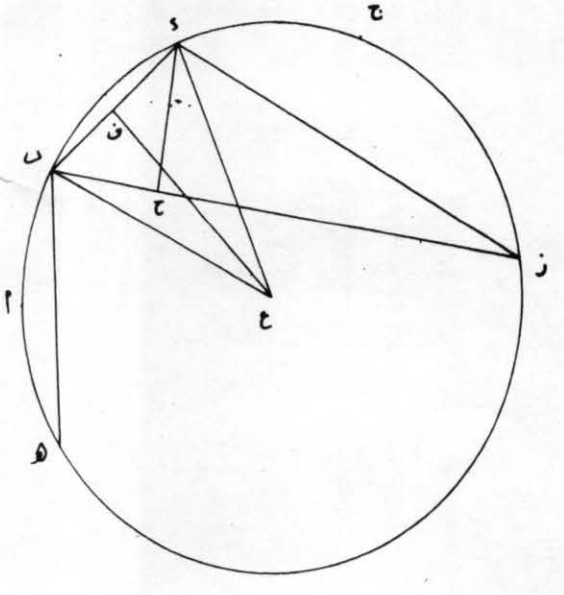

الشكل (٥)

من مواضع الخلط بين الأخافش النُحاة

للدكتور محمود حسني محمود
(الجامعة الاردنية)

لا شك في ان البحث في اصغر الامور كالبحث في اعظمها واجلها ، وان العناء الذي يجب ان يبذل عند التصدي لاي قضية فكرية لا بد ان يكون واحدا وان الحرص على الحقيقة والحذر من الزلل لا بد ان يلازما الباحث من بداية بحثه حتى نهايته . فقد يقع الخطأ في الامور التي يظن انها واضحة الوضوح كله ، وقد يتتابع الخلط في المتشابهات ويُتناقَل من مؤلف الى مؤلف ، فتتداخل الامور وتلتبس الحقيقة ، ويصبح الشيء غيره ، والضد ضده ، فيلف المعارف الانسانية لبس وغموض يصعب محوه وازالته .

وفي هذا البحث سأحاول ان أجلي أمرا التبس على الباحثين في الماضي والحاضر فخلطوا بين العلماء الذين اشتركوا في لقب « الاخفش » ونسبوا الى احدهم ما للآخر .

ولقد تتبعت الامر ، فوجدت الخلط قديما قدم الاخافش ، واستمر دون توقف فتفشى في الكتب الحديثة كما تفشى في القديمة ، مع أن التمييز بين هؤلاء ليس عسيرا على الباحث المتأني الواعي . ومع أن معرفة احد الاخافش من غيره لا تحتاج الى كبير عناء الامر

الذي جعل الدكتور ابرهيم السامرائي يلوم محقق أمالي الزجاجي لتعريفه الاخفش الاوسط في الحاشية بقوله : « لم (١) يعن المحقق من كل هذا الا بترجمة « الاخفش » في حاشيته ليقول لنا انه سعيد بن مسعدة ، كأنه حسب أن القارىء يذهب فهمه الى « الاخافش » الآخرين ، ومنهم الاكبر والاصغر وغيرهما ؟ وكل هذا معروف يعرفه الشداة الذين مرنوا على قراءة الكتب اللغوية القديمة . والتعريف بالاخفش واضرابه هو من باب التعريف بالمشاهير ، وانما ينبغي أن توفر الحاشية لغيرهم من الاعلام الذين لا يعرفهم الكثير من الدارسين » .

ومع انني اتفق مع الدكتور السامرائي واحترم رايه في ان الاخفش الاوسط مشهور ومعروف الا انني ارى — ويرى كل من يلمس تفشي الخلط واللبس — أن يميز الاخفش المذكور من غيره حين يرد في احد المتون .

والاخافش — حسب ما وصل الينا من كتب التراجم والطبقات — خمسة عشر عالما ذكر (٢) السيوطي منهم احد عشر ، وذكر (٣) ابن حجر واحدا ، وذكر صاحب تاج العروس (٤) واحدا ، وذكر صاحب « البدر الطالع » (٥) واحدا . وذكر صاحب « دائرة المعارف » (٦) — فؤاد — واحدا . الا ان الاخافش المشهورين — من بين هؤلاء — ثلاثة يعرفون بالاكبر والاوسط والاصغر .

---

(١) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني — العدد المزدوج ١١ — ١٢ ص ٩٦ من مقال: مع تحقيق كتب التراث ص ٩٢

(٢) انظر : بغية الوعاة ٢/٣٨٩

(٣) انظر : لسان الميزان ٢ /٣١٣

(٤) انظر: ج٤/٣٠٤

(٥) انظر : ١/٢٩٦

(٦) انظر : ٧/٤٢٨

والاكبر (٧) هو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ، من اوائل ائمة اللغة والنحو ، له الفاظ لغوية انفرد بنقلها عن العرب ، اخذ عن ابي عمرو بن العلاء واخذ عنه يونس ، وسيبويه ، وابو عبيدة .

أما الاوسط (٨) فهو اشهر الاخافش جميعا ، وهو ابو الحسن سعيد بن مسعدة ، كان الطريق الى كتاب سيبويه ، تتلمذ عليه المازني والجرمي وعلماء كثيرون ، والف كتبا عديدة في مختلف علوم عصره ، من اشهرها « معاني القرآن » (٩) « القوافي » (١٠) « الاوسط » في النحو ، « المقاييس » في النحو ، « المسائل الصغير » . ولقد تربع الاخفش هذا على عرش العروض بعد الخليل بايجاد بحر « الخبب » ولتصبح بحور الشعر ستة عشر بحرا بعد أن كانت زمن الخليل خمسة عشر . وتوفي سنة ٢١٥ هـ .

أما الاصغر (١١) فهو ابو الحسن علي بن سليمان تلميذ المبرد وثعلب ، وصاحب كتاب « الانواء » و « التثنية والجمع » و « الجراد » وشرح كتاب سيبويه . وتوفي سنة ٣١٥ هـ .

ولعل اول خلط ذلك الذي وقع فيه ابو الطيب اللغوي ، والطريف انه حدث في الموضع الذي كان يتحدث فيه عن الخلط بين

---

(٧) انظر ترجمته في مراتب النحويين ص ٢٣. طبقات النحويين واللغويين ص ٣٥ . نزهة الالباء : ص ٤٣ (تحقيق ابو فاضل ابرهيم) . انباه الرواة ١٥٧/٢ .بروكلمان ١٥١/٢ مدرسة البصرة ص ٤٦٤ .

(٨) انظر ترجمته في : اخبار النحويين البصريين ص ٥٠ الفهرست ٨٤ معجم الادباء ٢٢٤/١١ المدارس النحوية ص ٩٤ .

(٩) وهو محقق في جزأين تحقيق د. فايز فارس ١٩٧٩م .

(١٠) وهو محقق تحقيق د. عزت حسن دمشق ١٩٧٠م .

(١١) انظر ترجمته في : طبقات النحويين واللغويين ص ١٢٥ نزهة الالباء ص ١٨٥ (تحقيق د.ابرهيم السامرائي) انباه الرواه ٢٧٦/٢.

العلماء . قال : (١٢) « . . . حتى ان كثيرا من اهل دهرنا لا يفرقون بين ابي عبيدة وابي عبيد . وبين الشيء المنسوب الى ابي سعيد الاصمعي او ابي سعيد السكري او ابي سعيد الضرير . ويحكون المسألة عن الاحمر : فلا يدرون اهو الاحمر البصري ، او الاحمر الكوفي . ولا يصلون الى العلم بمزية ما بين ابي عمرو بن العلاء . وابي عمرو الشيباني . ولا يفصلون بين ابي عمر عيسى بن عمر الثقفي وبين ابي عمر صالح بن اسحاق الجرمي . ويقولون : « قال الاخفش » ولا يفرقون بين ابي الخطاب الاخفش وابي الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش البصريين . وبين ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي . وابي الحسن علي بن سليمان الاخفش بالامس صاحب محمد بن يزيد ، واحمد ابن يحيى . وحتى يظن قوم : ان القاسم بن سلام البغدادي ، ومحمد بن سلام الجمحي صاحب الطبقات اخوان » .

لقد خلط ابو الطيب عند قوله : « ابي الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » فليس ابن المبارك هذا بأخفش ، وانما هو احد الاحمرين . اذ ان كتب التراجم كلها تكاد تجمع على انه مشهور بالاحمر . ترجم له صاحب « طبقات النحويين » بقوله (١٣) : «هو علي بن المبارك الاحمر ، وكان مؤدب محمد بن هارون الامين » وترجم له صاحب « نزهة الالباء » بقوله (١٤) : « واما علي بن المبارك الاحمر صاحب الكسائي فانه اول من دون عن الكسائي ، قال الفراء : اتيت الكسائي فاذا الاحمر عنده ، وقد بقل وجهه . ثم برز حتى كان الفراء يأخذ عنه ، وكان يؤدب الامين ، وكان مشهورا بالنحو واتساع الحفظ » .

---

١٢) مراتب النحويين ص ١ — ٢ .

١٣) ص ١٤٧

١٤) ص ٩٧ (تحقيق ابو الفضل ابرهيم)

وترجم لـــه صاحب « انباه الرواة » بقوله (١٥) : « علي بن المبارك الاحمر النحوي صاحب علي بن حمزة الكسائي كـــان مؤدب الامين ، وهو احـــد من اشتهر بالتقدم في النحـــو واتساع الحفظ ، وجرت بينه وبين سيبويه مناظرة لمـــا قدم بغداد » ولم يورد واحـــد من هؤلاء عالما آخر بهـــذا الاسم ملقبـــا بالاخفش الكوفي .

هـــذا اولا واما ثانيا : فان ابـــا الطيب اللغوي اعاد ذكر « الاخفش » هذا مـــرة اخرى في ترجمة عبد الله بن سعيد الاموي فقـــال : « وفـــي طبقته ابو الحسن علي بن المبـــارك الاخفش الكوفي » وذكر انهما كانـــا في عصر الفراء ، والمعروف ان الاحمر هـــو الذي كان في عصر الفراء اذ كان الاثنان تلميذين للكسائي ، ولا اعرف احـــدا من الكوفيين روى عـــن عالـــم كوفي في عصر الفراء ملقب بالاخفش وانمـــا اللقـــب المشهور والمعروف هو الاحمـــر ليس غير .

واما ثالثا فوصف ابي العباس ثعلب الكوفي لعلي بن المبـــارك هذا بالاحمر لا بالاخفش قـــال صاحب الانباه (١٦) : قـــال ابو العباس احمـــد بن يحيى : كان علي بـــن المبارك الاحمر مؤدب الامين يحفـــظ اربعين الف بيـــت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائـــد وابيات الغريب ، ولمـــا احضر سيبويه في دار يحيى بن خالد البرمكـــي لمناظرة الكسائي حضر الاحمـــر قبل حضور الكسائي ، فألقى الاحمر على سيبويه مسألة فأجاب فيها ، فقال لـــه الاحمر : اخطأت . والقى عليـــه اخرى ، فأجاب . فقال لـــه : اخطأت ــ وكان الاحمر حادا حافظـــا ــ فغضب سيبويه فقال لـــه الفراء : ان معه عجلة . واخذ الفراء فـــي الكلام مع سيبويـــه » .

---

(١٥) ٣١٣/٢

(١٦) انباه الرواة ٣١٤/٢

فمن اثبت من ابي العباس ثعلب ومن ادق منه في ذكر اعلام الكوفيين ممن عاصروا الكسائي والفراء ؟! ومن اعلم منه في القاب هؤلاء الاعلام ؟! فهو الذي كان يفاخر بهم دائما ، ويكرر اقوالهم وآراءهم امام البصريين عند مناظراته اياهم .

ولم يتبن هذا الخلط الذي وقع فيه ابو الطيب الا السيوطي الذي كرر الكلام نفسه عند الحديث عن ابي محمد عبد الله بن سعيد الاموي قال (١٧) : « وفي طبقته ابو الحسن علي بن المبارك الاخفش الكوفي » ويخيل الي أن السيوطي لم يتحقق من الامر ولم يترو ، وانما كان ينقل نقلا تاركا المسؤولية على من ينقل عنه . وهذا الامر جعله يقع فريسة الاضطراب الشديد فمع انه لقب ابن المبارك المذكور بالاخفش ، الا انه حين ذكر الاحد عشر اخفش لم يذكره معهم قال (١٨) : « الاخفش احد عشر ، اشهرهم ثلاثة : الاكبر عبد الحميد بن عبد المجيد والاوسط سعيد بن مسعدة . والاصغر : علي بن سليمان . والرابع : احمد بن عمران . والخامس : احمد بن محمد الموصلي . والسادس : خلف بن عمر . والسابع : عبد الله بن محمد . والثامن : عبد العزيز بن احمد . والتاسع : علي بن محمد المغربي . والعاشر : علي بن اسماعيل الفاطمي . والحادي عشر : هرون بن موسى بن شريك » .

وحين ترجم للاحمر لم يزد على قوله عنه (١٩) : وممن اخذ عن الكسائي ابو علي الاحمر ولكنه حين عدد من لقب بالاحمر قال (٢٠) : « . . . اربعة اشهرهم اثنان : خلف البصري وعلي بن الحسن الكوفي . والثالث : ابان بن عثمان اللؤلؤي ، والرابع : ابو عمرو الشيباني

---

(١٧) المزهر ٢/٤١١

(١٨) بغية الوعاة ٢/٣٨٩

(١٩) المزهر ٢ /٤١٠

٢٠) بغية الوعاة ٢/٣٨٩

اسحاق بن مرار » فكيف تكون كنيـــة الاحمر ابا علي واسمه عليـــا في الوقـــت نفســـه .

وممـــن خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ابن الطيب في شرح الاقتراح، فقـــد رأى أن كنية « ابي الحسن » خاصة بالاصغر علي بـــن سليمان ، والاثنـــان يشتركان بهذه الكنية « وهـــو وهـــم » (٢١) ذلك ان هـــذه الكنية خاصـــــة بالاخفش الاوسط ليس غـــــير ، وهـــي خاصة بـــه في كتاب الخصائص علـــى الاقـــــل ، فهذا ابن جني يقـــول (٢٢) : « على ان ابـــا الحسن قد كان صنف فـــي شيء من المقاييس كتيبـــا اذا انت قرنته بكتابنا هذا علمت بذاك انا نبنا عنه فيه ، وكفيناه كلفة التعب بـــه ، وكافأناه على لطيف ما اولاناه من علومه المسوقة الينا المفيضة مـــاء البشر والبشاشة علينا ، حتى دعـــا ذلك اقواما نزرت من معرفـــة حقائق هذا العلم حظوظهم ، وتأخرت عـــن ادراكه اقدامهم الى الطعن عليه ، والقدح في احتجاجاته وعلله ، وسترى ذلك مشروحا في الفصول باذن اللـــه تعالى » .

وممـــن خلط بين الاكبر والاوسط اليمني فقد غلطه (٢٣) صاحب انبـــاه الرواة وادعى انـــه قال عن الاكبر انـــه الاوسط ، دون ان يتمكن من التمييز بينهمـــا .

وممـــا خلط الباحثون فيه فنسبوه الى الاكبر وهو للأوسط اولية تفسير الشعر تحت كل بيـــت ، ولعل اول من وقع في ذلك السيوطـــي حين قال في ترجمة الاكبر (٢٤) : « وابـــو الخطاب المذكور اول من فسر الشعر تحت كل بيت ومـــا كان الناس يعرفون ذلك قبلـــه ، وانما كانوا

---

(٢١) وهو رأي الاستاذ محمد النجار انظر الخصائص ج ١ /٢ (الحاشية)

(٢٢) الخصائص : ٢/١

(٢٣) ١٥٨/٢

اذا فرغوا من القصيدة فسروها » . وتبعه في ذلك بروكلمان بقوله (٢٥) : « الاخفش الاكبر وهو ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد ... وكان أول من كتب تفسير الاشعار بين السطور » . والاستاذ علي النجدي ناصف بقوله (٢٦) : « وهو أول من فسر الشعر بيتا بيتا بعقب كل بيت تفسيره ، وكان الناس قبله اذا فرغوا من القصيدة فسروها جملة ، واخذ عنه الكسائي ويونس وابو عبيدة وسيبويه ، وكان ثقة ورعا دينا » . والدكتور حسين نصار بقوله (٢٧) : « ولم يكن تأليف دواوين الشعراء أو القبائل مجرد جمع للشعر حسب ، بل كان جمعا وشرحا وسار هذا الشرح في طريقين الاول جمع القصيدة وتفسيرها بعد ايراد ابياتها بأجمعها ، وبقي هذا متبعا الى ان جاء ابو الخطاب عبد الحميد بن عبد المجيد الاخفش الاكبر (وهو من تلاميذ ابي عمرو بن العلاء) فابتدع طريقة جديدة في الشرح ففسر الشعر تحت كل بيت ، يقول السيوطي : وهو أول من فسر الشعر تحت كل بيت ، وما كان الناس يعرفون ذلك قبله ، وانما كانوا اذا فرغوا من القصيدة فسروها » .

وقد اوغل في هذا الخلط د. عبد الامير الورد حين نسب هذا (٢٨) العمل وهو تفسير كل بيت تحته الى « ابي عبد الله (٢٩) محمد بن

---

(٢٥) تاريخ الادب العربي ٢/١٥١

(٢٦) سيبويه امام النحاة : ص ٩٠

(٢٧) المعجم العربي : ص ٣١

(٢٨) منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ص ٢٣

(٢٩) هكذا اورد د. الورد هذه الكنية والصحيح :« ابو محمد عبد الله » وعبد الله اسم الاخفش هذا . قال الزجاجي : « وللبغداديين عبد الله بن محمد البغدادي الاخفش ،أحد من روى الشعر وقد اخذ عنه ابن السكيت والطوسي ». (مجالس العلماء : ص١٦٣) . وقال السيوطي : « عبد الله بن محمد البغدادي ابو محمد يعرف بالاخفش وهو خامس الاخفشين المذكورين هنا » (بغية الوعاة : ٢/٦٢). وانظر تقديم د. رمضان عبد التواب كتاب الحروف لابن السكيت .

عبد الله البغدادي الاخفش النحوي ، والغريب عند د.. الورد انه انتزع الخبر المتعلق بهذا العمل من ترجمة الاخفش الاوسط الوارد في « طبقات النحويين » و « انباه الرواة » كما سيرد بعد قليل ووضعه في ترجمة الاخفش هذا حين ترجم للأخافش .

واستبعد ان يكون الاخفش الاكبر هو اول من فسر كل بيت من الشعر تحته لان من ينسب اليه هذا العمل لا بد ان يكون مؤلفا كتابا واحدا على الاقل ، ولم يعرف عن الاكبر انه الف كتابا واحدا في اللغة والادب وانما كان الرجل يسأل عن الفاظ فيجيب ، وقد روى عنه سيبويه في كتابه سبعا واربعين مرة (٣٠) و « كل ما يروى عنه نصوص ومفردات » .

وارى في الوقت نفسه ان الاخفش الاوسط هو اول من سن هذا العمل وهو المعني بذلك لانه الف مجموعة كبيرة من الكتب — ذكرت بعضا منها آنفا — وهي في مجال اللغة والشعر والادب ، وعلى الرغم من ان كتابيه المحققين — واللذين اشرت الى تحقيقيهما في الحاشية قبل صفحات — لا يشتملان على هذه السنة الا ان المجال يبقى فسيحا لهذا الموقف — الذي اتبناه — في كتبه الضائعة وكتبه التي لم تحقق بعد . ولعل ما يقوي الذي ذهبت اليه قولة ابي العباس ثعلب التي اوردها صاحب « طبقات النحويين واللغويين » وصاحب « انباه الرواة » وهي (٣١) : « اول من املى غريب كل بيت من الشعر تحته الاخفش — وكان ببغداد — وكان الطوسي مستمليه ، وقال : ولم ادركه لانه كان قبل عصرنا ، وكان يقال له الاخفش الراوية » . وقد اوردا هذه الرواية في ترجمة الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولكن قد

---

(٣٠) سيبويه امام النحاة ص ٩٠

(٣١) طبقات النحويين واللغويين : ص٧٦، انباه الرواة : ٣٩/٢.

يقال : ان هذين المؤلفين خلطا في الامر فوصفا هذه الرواية في ترجمة الاوسط وكان الاولى ان توضع في ترجمة الاكبر ، فان من السهل القول : ان في هذه الرواية عدة مؤشرات تدل على ان ثعلبا كان يعني الاوسط لا الاكبر اولها قوله « وكان ببغداد » ولم يعرف عن الاكبر انه جاء بغداد وانما الذي جاء بغداد هو الاخفش الاوسط ، جاءها لينتقم من الكسائي بعد المناظرة المشهورة التي دارت بين سيبويه والكوفيين .

وثانيا : قوله « ولم ادركه لانه كان قبل عصرنا » فهذا القول يفهم منه ان ثعلبا كان في فترة ليست بالبعيدة عن تلك التي عاشها الاخفش ، ولكن ثعلبا لم يقدر له ان يلحق به ، والا لما قال « ولم ادركه » ويظن ان الاخفش الاكبر توفي (٣٢) سنة ١٧٧هـ ، بينما توفي (٣٣)الاخفش الاوسط سنة ٢١٥ هـ وذلك بعد الفراء الذي توفي (٣٤) سنة ٢٠٧ هـ ، وتوفي (٣٥) ثعلب سنة ٢٩١ هـ وكان ولد (٣٦) سنة ٢٠٠ هـ ، اي كان عمره عند وفاة الاخفش الاوسط خمسة عشر عاما ، ولكنه مع ذلك كله لا يعد من عصره او من جيله وبالتالي فلم يتمكن من ادراكه والتتلمذ عليه ، اذ كان يقول (٣٧) : طلبت العربية واللغة في سنة ٢١٦ هـ » .

وثالثهما قوله : « وكان يقال له الاخفش الراوية » والاخفش الاوسط كان راوية فعلا ، فقد روى (٣٨) كتاب سيبويه ، وكان الطريق

---

(٣٢) تاريخ الادب العربي : ١٥١/٢

(٣٣) أخبار طبقات النحويين البصريين : ص ٥١

(٣٤) نزهة الالباء : ص ١٧٦ (تحقيق د. ابرهيم السامرائي)

٣٥) طبقات النحويين واللغويين ص١٦٠ وانظر مقدمة مجالس ثعلب للمحقق

(٣٦) انباه الرواة : ١٣٩/١

(٣٧) انباه الرواة : ١٣٩/١

(٣٨) نزهة الالباء ص ١٣٣ (تحقيق ابو الفضل ابرهيم)

الوحيد اليـــه ، وهو الذي نشره بين الناس من خلال المازني والجرمـــي . وكذلك فقد كـــان يروي اشعار العرب ولغتهـــم في كتبه .

بالاضافة الى ذلك كلـــه فان ثعلبا كان يعتني عناية خاصة بالحديث عن الاخفش الاوسط للعلاقة الوثيقة التي كانت بين هـــذا العالم والكوفيين ولذلك فقد كان ثعلـــب يتحدث عنه كثيرا مظهرا الاحترام لـــه والاكبار وكان يقول عنـــه (٣٩) « كان اوسع الناس علمـــا » .

ولـــولا هذه الاشارات جميعها التي استعنت بهـــا للقول ان الاخفش الاوسط هـــو اول من وضع تفسير كل بيت من الشعر تحته لذهبت ـــ ولـــن اذهب الى ذلك ـــ الى ان اول من فعل ذلك الاخفش الاصغـــر علي بن سليمان ، فقـــد وجدته يلتزم بهذا الاسلوب في كتابه « الاختيارين » ولا يحيـــد عنه . ولعل المناسب في هذا المجـــال ان اضع بين يـــدي القارىء امثلة سريعة لذلك . يقـــول في شرح قصيدة علقمة بن عبـــدة التميمـــــي (٤٠) .

ذهبت من الهجران في غير مذهـــب ولـــم يك حقا كل هذا التجنـــب

ويروى « طول هذا التجنب » يقول : لـــم يكن من الحق ان تجتنبي هـــذا التجنب كله ، ولـــم آت ذنبا ، استتحقت بـــه منك التجنب ، ويقال : انمـــا خاطب نفسه بذلك ، وعاتبهـــا :

لليلـــي فـــلا تبلى نصيحة بيننـــا ليالـــي حلـــوا بالستار فغـــرب

يعنـــي : فليست تبلى نصيحة بيننـــا ، ويروي : « ليالي لا تبلى نصيحة بيننا » و « حلـــو » : نزلوا ، و « الستار وغرب » موضعـــان » .

---

(٣٩) انباه الرواة : ٢/٤٠

(٤٠) الاختيارين ص ٤٧

ويقـــول (٤١) في قصيدة دجاجة بن عبد القيس :

تجـــرد علاق الينـــا وحاجـــــب وذو الكير يدعو : يالحنظلة اركبوا

قـــال : « علاق وحاجب » ابنـــا عبد الله بن همام بن رباح بن يربوع . و « ذو الكـــير » الحارث بن بيبة بن قرط سفيان بـــن مجاشع .

ومنـــا رقيـــب جالس في علايـــة مـــن الارض راب طرفه يتقلـــب

ويروي : « بأرض فضاء ، طرفـــه يتقلب » . قـــال : و « الرقيب » : الذي يربـــأ القوم فوق رابية ينظر : هل يأتيهم عدوهم ، ومن اين يأتيهم . و « علايـــة » : مكان عال . و « أرض فضاء » اي : واسعة ، وقولـــه « طرفه يتقلب » اي : ينظر ههنا وههنـــا » .

ولعـــل ابرز ما يثير الاستغراب في قضية الخلط بيـــن الاخافش ذلك الذي وقـــع فيه محقق « اعراب القرآن المنسوب الى الزجـــاج » ، فقـــد نسب في الفهرس المخصص للأعلام في نهايـــة هذا الكتاب الى ابي الحسن الاخفش الاصغر كل مـــا ورد في الكتاب منسوبا الـــى « الاخفش » او « ابي الحسن » او « أبي الحسن الاخفش » ظنا منه انـــه المعني بذلك بينما المعني حقيقة في هذا كلـــه ـــ وهو كثير جدا ـــ ابـــو الحسن الاخفش الاوسط سعيد بن مسعدة . ولـــن أحاول أن أدلل من عندي بأدلـــة اجتهادية ، وانما سأحاول ان ارد بعض نصوص « اعراب القرآن » المتعلقة بهذا الامـــر الى « معاني القرآن » الذي الفـــه الاخفش الاوسط والذي حقق سنـــة ١٩٧٩م .

فقـــد نسب المحقق الى الاخفش الاصغر مـــا ورد في « اعراب القرآن » حول زيادة « من » وهـــو (٤٢) : « فأما قوله تعالى (٤٣) (وينزل

---

(٤١) صـــ ٦٨٧

(٤٢) اعراب القرآن ٤١٧

(٤٣) النور آية ٤٣

من السماء من جبال فيها من برد) فان ابا الحسن ذكر ان التقدير : وينزل من السماء جبالا فيها بـــرد » . وهذا القول لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قال (٤٤) : « قـــال (٤٥) (كلوا مما امسكن عليكم) ادخل « مـــن » كما ادخله في قولـــه : كان من حديث ، و + قد كان مـــن مطـــــر . وقولـــه (٤٦) : (ويكفر عنكم من سيئاتكم) و (ينزل من السماء من جبـــال فيها من بـــرد) وهو فيما فسر : ينزل من السماء جبالا فيهـــا بـــرد ، وقـــال بعضهم : « وينزل من السماء من جبال فيها من بـــرد » اي في السماء جبال من بـــرد ، اي يجعل الجبال من برد في السماء ، ويجعـــل الانزال منهـــا » .

ونسب اليـــه ما ورد فيه حول زيادة « من » ايضا (٤٧) : « امـــا الثاني دخولها على خبـــر المبتدا في موضع ، في قول ابي الحسن الاخفش ، وهو قوله (٤٨) : (جزاء سيئة بمثلها) زعـــم ان المعنى : جزاء سيئـــة مثلها ، وكأنه استدل على ذلك بالآيـــة الاخرى ، وهو قوله (٤٩) (وجـــزاء سيئة سيئة مثلها) » . وهذا للأخفش الاوسط الذي قـــال (٥٠) : « وقال (جزاء سيئة بمثلها) وزيدت الباء كما زيدت في قولك : بحسبك قـــول الســـوء » .

---

(٤٤) معاني القرآن ٢٥٤/١

(٤٥) المائدة آية ٤

(٤٦) البقرة آية ٢٧١

(٤٧) اعراب القرآن ٦٨٨

(٤٨) يونس آية ٢٧

(٤٩) الشورى آية ٤٠

(٥٠) معاني القرآن ٣٤٣/٢

ونسب اليه ما ورد فيه حول سورة الناس (٥١) : « ومن ذلك ما قاله ابو الحسن في قول الله تعالى (٥٢) (من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس) اي : انه اراد من شر الوسواس الخناس من الجنة والناس الذي يوسوس في صدور الناس » . وهذا للاخفش الاوسط الذي قال(٥٣) : « وقوله (من الجنة والناس) يريد : من شر الوسواس من الجنة والناس . والجنة هم الجن » .

ونسب اليه ما ورد فيه حول حذف (او) (٥٤) « ومن ذلك قوله تعالى (٥٥) : (قم الليل الا قليلا ، نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه) .. وقال الاخفش المعني : او نصفه او زد عليه قليلا ، لان العرب قد تكلم بغير او ، يقولون : اعط زيدا درهما درهمين او ثلاثة » وهذا للاخفش الاوسط الذي قال (٥٦) : « وقوله (قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه) فقال السائل عن هذا : قد قال : « قم الليل الا قليلا » فكيف قال « نصفه » ؟ انما المعني : او نصفه او زد عليه ، لان ما يكون في معنى تكلم به العرب بغير « او » تقول : اعطه درهما درهمين ثلاثة تريد : او : درهمين او ثلاثة .

ونسب اليه ما ورد فيه حول حذف الفاء (٥٧) : « ويجوز على قياس قول ابي الحسن في قوله (٥٨) (الوصية للوالدين) من ان المعني :

---

(٥١) اعراب القرآن ٦٨٢

(٥٢) الناس آية ٤ — ٦

(٥٣ معاني القرآن ٥٥٠/٢

(٥٤) اعراب القرآن ٧٠٤

(٥٥) المزمل آية ٢ ، ٣ ، ٤ ،

(٥٦) معاني القرآن ٥١٢/٢

(٥٧) اعراب القرآن ٧٨٠

(٥٨) البقرة ١٨٠

فالوصية ، ان يكون جـزاء ، ويقدر حذف الفـاء » . وهذا القـول للاخفش الاوسط الذي قـال (٥٩) : « وقـال : (ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين) فالوصية على الاستئناف ، كأنه ـ والله اعلـم ـ : ان ترك خيرا فالوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقـا » .

ونسب اليـه ما ورد فيه حول الحال (٦٠) : « وقد قال ابو الحسن في قولـه (٦١) : (وما لنا الا نقاتل في سبيل اللـه) (٦٢) (وما لكم الا تأكلوا) ان المعني : وما لكـم في ان لا تأكلوا وانه في موضوع الحال » . وهذا القول للاخفش الاوسط الذي قـال (٦٣) : وقـال : وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم اللـه عليه) يقول ـ والله اعلـم ـ واي شيء لكم في الا تأكلوا ؟ وكذلك : (ما لنا الا نقاتل) يقـول : اي شيء لنا في ترك القتال ؟ ولـو كانت « أن » زائدة لارتفع الفعل ، ولـو كانت في معنى : وما لنا وكذا ؟ لكانت : وما لنـا والا نقاتل ؟ » ونسب اليه ما ورد فيـه حول زيادة الواو (٦٤) : « فامـا قول كثير :

مـاذا وذلـك ليس الا حيفـة واذا مضى شيء كان لم يفعـل

حمل ابو الحسن هذا على الواو الزائدة ، حتى كأنه قـال : فاذا ذلك ، وليس الا حينه ، وانشد هـذا البيت نفسه ، وانشد معه بيتـا آخـر وهو قـول الشاعر :

فاذا وذلك يـا كبيشة لم يكـن الا كلمـة حالـم بخيـال

---

(٥٩) معاني القرآن ١٥٨/١

(٦٠) اعراب القرآن ٨٥٩

(٦١) البقرة آية ٢٤٦

(٦٢) الانعام آية ١١٩

(٦٣) معاني القرآن ٢٨٦/٢

(٦٤) اعراب القرآن ٨٨٩

وقال محمد بن يزيد : ان البصريين لا يرون زيـادة الواو ، وقد كان في الواجب ان يستثني ابـا الحسن » .

وهـذا لابي الحسن الاخفش الاوسط الذي قـال (٦٥) : وقد جاء في الشعر شيء يشبه ان تكون الواو زائدة فيـه ، قال الشاعر :

فاذا وذلك يـا كبيشة لم يكـن الا كلمـة حالـم بخيـال

فيشبه ان يكون يريـد : فاذا ذلك لم يكن ، وقال بعضهم : فأضمر الخبر ، واضمار الخبر احسن في الآيـة ايضا ، وهو في الكلام كثير » .

ولقـد وقع صاحب كتاب « سيبويه امام النحاة في آثـار الدارسين » في خلط واضح ، فنسب في فهرسه المخصص للاعلام في آخـر الكتاب الى الاخفش الاكبر ما للأوسط ، فراى ان الاخفش المعنـي في الرواية التالية هـو الاكبر لا الاوسط (٦٦) : « حدث الاخفش قـال : حضرت مجلس الخليل ، فجاءه سيبويه ، فسأله عـن مسألة ، وفسرها لـه الخليل فلم افهـم ما قالا فقمت وجلست لـه في الطريق ، فقلت : جعلني الله فداءك ، سألت الخليل عن مسألة فلم افهم ما رد عليك ، ففهمنيه ! فأخبرني بهـا ، فلم تقع لي ، ولا فهمتها فقلت لـه : لا تتوهم اني اسألك اعناتا ، فانـي لم افهمها ولم تقع لي فقال لي : ويلك ، ومتى توهمت انـك تعنتني ؟ ثـم زجرني وتركني ومضـى » .

ان المعنـي في هذه الرواية الاخفش الاوسط تلميـذ سيبويه ولا يمكن أن يكون المعني فيهـا الاخفش الاكبر استاذ سيبويه اذ لا يستغرب من تلميـذ ان يجلس لاستاذه في الطريق ، ولكنه ليس من المعقول أن يجلس الاستاذ لتلميذه ، هـذا اولا . وثانيا : لا يتوقع ان تكون مخاطبـة سيبويه لاستاذه هذه المخاطبة ولكنهـا منطقية ان تصدر من استـاذ

---

(٦٥) معاني القرآن ٢/٤٥٧ — ٤٥٨

(٦٦) سيبويه آثار الدارسين ص ١٢ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ٢٢٨

لتلميذه . أما ثالثا فـــان هذه الرواية لا تختلف في جوهرها عن تلك التـــي رويت في ترجمة الاخفش ونصهـــا (٦٧) : « قال المبرد : الاخفش اكبر سنا من سيبويه ، الا انـــه لم يأخذ عن الخليل وكانا جميعا يطلبان ، فجـــاءه الاخفش ، فناظره بعـــد أن برع ، فقال لـــه الاخفش : انما اناظـــرك لاستفيد لا غير . قـــال : اتراني اشك في هـــذا » .

ولعـــل من الخلط البين بين الاخافش هو مـــا وقـــع فيه محقق « العسكريات ، الـــذي نسب في فهرسه المخصص للأعلام الى الاخفش الاوسط مـــا للأصغر ، اذ نسب اليـــه الانشاد حول عمل لولا في قـــول أبـــي علي الفارسي (٦٨) : « وانشدنا أبـــو حسن الاخفش عن الاحـــول عن ابي عبيـــدة :

وكـــم موطن لولاي طحت » .

ان المعني هنـــا هو الاخفش الاصغر ، بدليل قـــول الفارســـي « وانشدنا » والفارسي المتوفى سنـــة ٣٧٧ هـ تلميذ الاخفش الاصغـــر علي بن سليمان المتوفى سنة ٣١٥ هـ ، ولـــن يكون المعني في هذه الرواية بأي حال من الاحوال الاخفش الاوسط المتوفـــى سنة ٢١٥ هـ فهنـــاك مسافة زمنية بين الاثنين واسعة . هـــذا اولا ، وثانيا : ان الاخفش المذكور في هـــذه الرواية يروي عن الاحول والاحول كـــان (٦٩) تلميـــذا لثعلب المتوفى سنـــة ٢٩١ هـ يأخذ عنه ويروي ، والمعروف ان الاخفش الاصغر كـــان تلميذا لثعلب فمن المناسب ايضا ان يروي عمـــن روى عـــن ثعلـــب .

---

(٦٧) اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ (في ترجمة الاخفش الاوسط) انباه ٤١/٢ (في ترجمة الاخفش الاوسط) .

(٦٨) المسائل العسكريات ص ٨٠ وانظر فهرس هذا الكتاب ص ١٨٤ .

(٦٩) انظر ترجمته في معجم الادباء ١٢٥/١٨ . تاريخ بغداد ١٨٥/٢ بغية الوعاة ٨١/١

وخلـــط المحقق ايضا فنسب الى الاخفش الاوسط روايـــة الفارسي :

« وانشدنا ابـــو الحسن الاخفش :

فـــرت يهود واسلمت جيرانهـــــا صمي لما فعلت يهود صمام » (٧٠)

والمعني هنا ابـــو الحسن الاخفش الاصغر علي بن سليمان الذي تتلمـــذ عليه الفارسي ، ومن المستبعد ان يعنـــي الفارسي في قولـــه « انشدنا » الاخفش الاوسط الذي عاش في عصر غير عصر الفارســـي .

ولعل احدث ما وقعت عليه من خلط بين الاخفش الاوسط والاصغر ذلك الذي وقـــع فيه محقق « اخبار ابي القاسم الزجاجي » وهـــو خلط كثير بيّن ، ذلك انـــه وضع في آخـــر هذا الكتاب فهرسا للأعلام جعل كـــل ما فيه ذكـــر « الاخفش » للأوسط سعيد بن سعدة ، وتجاهل (٧١) تمامـــا الاخفش الاصغر علي بن سليمان ، ولـــم يذكره بين الاعلام مرة واحـــدة مع أن معظم ما ذكر فيـــه « الاخفش » ـ وهو كثير جـــدا ـــ هو للثاني وليس للأول وذلك ان الزجاجي صاحـــب الكتاب كان تلميذ علي بـــن سليمان فكان يروي عنه عن ثعلب الامر الذي يؤكد ما أذهب اليه . وكـــان الزجاجي اذا أراد الاوسط ولـــم تكن قرينة سماه باسمه فقـــال (٧٢) : « الاخفش سعيد بن مسعدة » ، أما اذا كانت قرينة كأن يروي (٧٣) المازني عن الاخفش ، فكان يكتفي بذكر لقبه وحـــده .

---

(٧٠) المسائل العسكريات ص ١٢١ وانظر فهرس هذا الكتاب .

(٧١) انظر فهرست الكتاب ص ٢٩١ . وانظر الكتاب : ص ١٨، ٢١، ٢٣، ٣٠، ٣١، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٨، ٦٤، ٦٨، ٦٩، ٧٣ ٧٦ ٧٧ ٨٢ ٨٤ ٨٥ ٩١، ٩٤، ٩٧، ٩٩، ١٠٠ وما بعدها .

(٧٢) انظر ص ٨٨، ٢١٦

(٧٣) انظر ص ٢٤ ، ١٧٠

والملحـــوظ من خلال هذا البحث ان معظم خلط الباحثين كان بيـــن الاخفش الاوسط والاصغر ، ومرد هـــذا ـــ في نظري ـــ الى اشتـــراك الاثنين في لقـــب الاخفش ، واشتراكهما في كنية « ابي الحسن » ، والـــى ان كليهما نحوي ، ومؤلـــف كتب في ضروب اللغة المختلفة ، ولان القدمـــاء كانوا يكتفون عند ذكـــر احدهما باللقب او الكنية او اللقب والكنية معـــا .

ومـــع ذلك فان قرائن عديدة يمكن ان تعتمـــد ، واساليب متنوعة يمكن ان تتخـــذ للتمييز بينهما ، وقد حاول الدكتور عبد الامير الـــورد صاحب « منهج الاخفش الاوسط » ان يعتمـــد مجموعة منها ليميز الاخفش الاوسط عن غيره من النحاة منهـــا (٧٤) : تمييزه من البصريين او استثناؤه منهم كقول القائل « قـــال الاخفش من البصريين » او « قال البصريون الا الاخفش » . ومنها : قرنـــه بأنداده او اساتذته او تلامذته ، كقـــول القائل « قال ذلك سيبويه والاخفش » او « حكى ذلك الخليل والاخفش » او قولـــه : « حكى ذلك الاخفش والمازني » ومنها : رفض من بعـــده الراي او اخذه بـــه ، كقول القائل « قال ذلك الاخفش وخالفه المبـــرد » او قوله : « قـــال ذلك الاخفش وتابعه المبـــرد » . ومنها : ذكره مقرونـــا بكتاب لـــه ، كقول القائل : « وقـــال الاخفش في الاوسط » .

ويمكـــن القول ايضا ان ابرز ما يميـــز الاخفش الاصغر عن غيره من النحاة ان يروي تلامذته عنـــه بقولهم « اخبرنا الاخفش » او « انشدنـــا الاخفش » ، او ان يروي هـــو عن اساتذته امثال ثعلب ، او عن علمـــاء رووا عن تلاميـــذ الاخفش الاوسط او اقرانهم او من جـــاء بعدهـــم .

د. محمود حسني محمود
الجامعة الاردنية

---

(٧٤) انظـــر ص ٢٩

فهرس مصادر البحث

١ ــ أخبار النحويين البصريين ــ السيرافي ط ١٩٣٦

٢ ــ الاختيارين ــ الاخفش تحقيق د. فخر الدين قباوة دمشق ١٩٧٤ .

٣ ــ اعراب القرآن ــ المنسوب الى الزجاج تحقيق ابرهيم الابياري .

٤ ــ انباه الرواة ــ القفطي ــ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ط أولى ١٩٥٢م .

٥ ــ البدر الطالع ــ الشوكاني ــ مطبعة السعادة ط الاولى ١٣٤٨هـ

٦ ــ بغية الوعاة ــ السيوطي ــ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ــ مطبعة الحلبي ط أولى ١٩٦٥م.

٧ ــ تاج العروس ــ محب الدين الزبيدي .

٨ ــ تاريخ الادب العربي ــ بروكلمان ــ دار المعارف بمصر ــ الطبعة الثانية ١٩٦٨م.

٩ ــ تاريخ بغداد ــ البغدادي ــ مطبعة السعادة ١٩٣١م.

١٠ ــ الحروف ــ ابن السكيت ــ تحقيق د. رمضان عبد التواب ــ ط أولى ١٩٦٩م.

١١ ــ الخصائص ــ ابن جني ــ تحقيق محمد النجار ــ بيروت ــ الطبعة الثانية .

١٢ ــ دائرة المعارف ــ فؤاد افرام البستاني بيروت ١٩٦٧م .

١٣ ــ سيبويه امام النحاة ــ علي النجدي ناصف .

١٤ ــ سيبويه امام النحاة في آثار الدارسين ــ كوركيس عواد بغداد ١٩٧٨م .

١٥ ــ طبقات النحويين واللغويين ــ الزبيدي ــ تحقيق أبو الفضل ابرهيم ط أولى ١٩٥٤م.

١٦ ــ الفهرست ــ ابن النديم ــ مطبعة الاستقامة بالقاهرة .

١٧ ــ القوافي ــ الاخفش الاوسط تحقيق د. عزة حسن دمشق ١٩٧٠م .

١٨ ــ لسان الميزان ــ ابن حجر العسقلاني ــ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية ط أولى ١٣٣٠م .

١٩ ــ مجالس ثعلب ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ دار المعارف بمصر ــ ط الثانية ١٩٥٦م.

٢٠ ــ مجالس العلماء ــ الزجاجي ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ الكويت ١٩٦٢م.

٢١ ــ مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد المزدوج ١١ــ١٢ كانون الثاني حزيران ١٩٨١م.

٢٢ ــ المدارس النحوية د. شوقي ضيف دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

٢٣ ــ مدرسة البصرة ــ د. عبدالرحمن السيد ط أولى ١٩٦٨م .

٢٤ ــ مراتب النحويين ــ أبو الطيب اللغوي ــ تحقيق أبو الفضل ابرهيم مطبعة نهضة مصر ١٩٥٥م .

٢٥ ــ المزهر ــ السيوطي ــ تحقيق علي البجاوي ــ دار احياء الكتب العربية .

٢٦ ــ المسائل المسكريات ــ أبو علي الفارسي ــ تحقيق اسماعيل عمايرة ــ ط ١٩٨١م .

٢٧ ــ معجم الادباء ــ ياقوت الحموي ــ مطبعة المأمون ــ الطبعة الاخيرة .

٢٨ ــ المعجم العربي ــ د. حسين نصار ــ ط ١٩٥٦م .

٢٩ ــ منهج الاخفش الاوسط في الدراسة النحوية ــ د. عبد الامير الورد ــ ط الاولى ١٩٧٥م.

٣٠ ــ نزهة الالباء ــ ابن الانباري .

أ) تحقيق أبو الفضل ابرهيم . دار نهضة مصر للطباعة والنشر .

ب) تحقيق د. ابرهيم السامرائي ــ ط الثانية ١٩٧٠م .

مَع معجم "الصحاح" و"حواشيه"

للدكتور إبراهيم السامرائي

(عضو مؤازر في المجمع)

يحسن أن نعرض لشيءمن "الصحاح"[٢] فنقول فيه ما يهيئ للكلام على ما سينجلي لنا من الكتابين اللذين أشرنا إليهما في أسفل هذه الصفحة.

لقد حظي كتاب "الصحاح" بعناية الدارسين فاشتهر وشاع استعماله، وقد نهج فيه الجوهري نهجاً يقوم على نظام الباب والفصل، فقد رتب الأصول اللغوية فيه على الحرف الأخير فسماه "باباً"، ثم رتب مواد الباب على الحرف الأول منها فسماه "فصلاً" متبعاً الترتيب الهجائي فيما بين الباب والفصل من أحرف الأصل اللغوي.

قد يكون الجوهري أفاد هذا النظام من الفارابي في "ديوان الأدب" وهو المعجم الذي حبس على ضبط الأبنية في العربية. ولا أستطيع أن أقول: إن الجوهري أفاد هذا النظام من البندنيجي في كتابه "التقفية" كما ذهب إلى هذا غير واحد من الدارسين. وقد كنت أشرت في مبحث سابق أن كتاب "التقفية" ليس معجماً سبق "الصحاح"، ذلك أنه

---

(١) أخص بالدرس من هذه "الحواشي" كتابين وهما:

أ- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح لأبي محمد عبدالله بن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ. (من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة)، تحقيق وتقديم مصطفى حجازي، ومراجعة علي النجدي ناصف للجزء الأول.

ب - كتاب "التكملة والذيل والصلة" للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني المتوفى سنة ٦٥٠هـ. (من منشورات مجمع اللغة العربية في القاهرة)، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، ومراجعة عبدالحميد حسن للجزء الأول.

(٢) "تاج اللغة وصحاح العربية" هو المعجم الذي اشتهر بين الناس باسم (الصحاح) لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٨هـ.. نشر غير مرة آخرها بتحقيق أحمد عبدالغفور عطار.

كتاب من نمط الكتب التعليمية قصد منه صاحبه أن يضع بين يدي الكاتب المترسل والشاعر الألفاظ على قافية واحد على اختلاف الأبنية[٣].

قلت: إن كتاب "الصحاح" قد حظي بعناية الدارسين تصحيحاً واستدراكاً واختصاراً وفوائد أخرى. فأما ما كان من استدراك عليه وبيان ما عرض له من الوهم فهي جملة كتب أذكرها بين يدي القارئ:

١- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في الصحاح، وهو أحد الكتابين اللذين عقدنا عليهما هذا المبحث. وكتاب "التنبيه ..." هذا أسبق "الحواشي" التي صنفت في التعليق على "الصحاح"، وهو لابن بري المصري المتوفى سنة ٥٨٢هـ.

٢- كتاب "التكملة والذيل والصلة" للصاغاني: رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن ... العمري المتوفى سنة ٦٥٠هـ، وهو ثاني هذه "الحواشي"، الذي سيكون مع الكتاب السابق مادة مبحثنا هذا، وقد تلاه في الظهور.

٣- كتاب "نفوذ السهم فيما وقع للجوهري من الوهم" لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي وهو شيء من الاستدراك نهج فيه الصفدي نهجاً يقرب مما جرى عليه أن بري في "التنبيه"، إلا أنه زاد عليه شيئاً من فوائد أدبية. وقد أفاد فيه مما ذكره ابن بري فهو يورد كلامه بنصه أو يختصره.

٤- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروزآبادي المتوفى سنة ٨١٦هـ. لقد صنف "القاموس" وكان من منهجه أن يتعقب "الصحاح" كما أشار في "مقدمة القاموس". غير أن الدارس لا يمكنه أن يبصر في "القاموس" مواطن الغلط التي أشار إليها في "المقدمة"، ولا نكاد نجد من ذلك إلا شيئاً قليلاً عبر عنه بقوله: "وهم الجوهري" (انظر مادة ثأثأ مثلاً).

ولكن المصنف في المقدمة قد ذكر[٤]: "ثم إني نبهت فيه على أشياء ركب فيها الجوهري – رحمه الله- خلاف الصواب[٥]، غير طاعن فيه، ولا قاصد بذلك تنديداً له، وازراء عليه، وغضاً منه. بل استيضاحاً للصواب، واسترباحاً للثواب ...".

---

(٣) انظر كتابنا "مع المصادر في اللغة والأدب" ٢/٤٧-٥٤.

(٤) مقدمة "القاموس المحيط" ص ٤.

(٥) وردت هذه العبارة في مقدمة محقق "كتاب التنبيه ..." لابن بري على النحو الآتي:=

غير أنه أشار إلى :الأوهام الواضحة والأغلام الفاضحة ...". وقد علمنا مما ذكره الزبيدي في "تاج العروس" أن الفيروزآبادي قد أفاد ما استدركه على "الصحاح" ونبه على غلطه" من كتاب الصاغاني: "التكملة والذيل والصلة" إلا أنه لم يشر إلى ذلك. وقد أبان الزبيدي عن هذا في ثنايا "معجمه".

وقد انتصر للجوهري مما ناله من الفيروزآبادي غير واحد من المصنفين منهم: أبو زيد عبدالرحمان بن عبدالعزيز المغربي التادلي، نزيل مكة، فقد صنف في ذلك كتابه المشهور بـ"الوشاح وتثقيف الرماح في الرد على "المجد" في توهيم الصحاح"[٦].

ومثل هذا ما صنعه محمد بن مصطفى الشهير بـ"داود زاده" التركي في كتابه "الدر اللقيط في أغلاط القاموس المحيط"[٧]، ويريد بـ"الأغلاط" ما أشار إليه الفيروزآبادي في غلط الجوهري وضمنه كتابه "القاموس".

ومن مظاهر عناية المتقدمين الدارسين بـ"الصحاح" أنهم اختصروه فمن مختصراته:

١- كتاب "مختار الصحاح" لمحمود بن أحمد الزنجاني (٥٧٣- ٦٥٤٦هـ).

ويصف المؤلف في مقدمته ظروف تأليف كتابه، وهدفه، ومنهجه، فيقول:

"ولما فرغت من كتاب: ترويح الأرواح في تهذيب الصحاح ... وقع حجمه موقع الخمس من كتابه من غير إهمال شيء من لغته، وكان قد حداني إلى تهذيبه، أعني تجريد لغته من النحو والتصريف الخارجين عن فنه، وحذف ما فيه من حشو وتكرير، وإسقاط ما لا حاجة إليها من الأمثال والشواهد الكثيرة ردم التخفيف والإيجاز، ليسهل حفظه ويقرب ضبطه، ثم نظرت ثانياً، فرأيت

="ثم نبهت فيه إلى (كذا) أشياء ركب فيها الجوهري ..." والصواب كما في "القاموس":

"ثم إني نبهت على أشياء ..." واستعمال "على" هو الصواب للإشارة إلى الغلط"، فقد وردت في كتب المتقدمين: "التنبيه على حدوث التصحيف" و"التنبيهات على ..." وغيرهما كثير.

(٦) انظر المعاجم العربية ص ٩٧.

(٧) كنت قد عرفت بهذا الكتاب في مبحث لي نشر في المجلد الثاني عشر من مجلة المجمع العلمي العراقي، كما نشرت فيه "باب الهمزة" من هذا الكتاب.

همم بني الزمان ساقطة، ورغباتهم نائمة، وحرصهم وحفظهم كليلاً، فأوجزت إيجازاً ثانياً، حتى وقع حجمه موقع العشر ..."[٨].

وهكذا بدا لنا نهج الزنجاني في "مختاره"، فقد عمد إلى حذف الشواهد وبعض المعاني كما حذف طائفة من المواد مع إبعاد التعليلات الصرفية والنحوية وبعض الاشتقاقات.

٢- كتاب "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، ووافق الفراغ منه – كما قيل في آخره- عشية يوم الجمعة سنة ستين وسبع مئة، وقد اختار من مواد "الصحاح" وقال في مقدمته: "واقتصرت فيه على ما لا بد لكل عالم فقيه أو حافظ أو محدث أو أديب من معرفته وحفظه لكثرة استعماله وجريانه على الألسن، مما هو الأهم فالأهم، خصوصاً ألفاظ القرآن العزيز، والأحاديث النبوية، واجتنبت فيه عويص اللغة وغريبها طلباً للاختصار وتسهيلاً للحفظ".

وقال أيضاً:

وضممت إليه فوائد كثيرة من "تهذيب" الأزهري وغيره من أصول اللغة الموثوق بها ومما فتح الله تعالى به علي، فكل موضع مكتوب فيه "قلت" فإنه من الفوائد التي زدتها على الأصل ...

وقال أيضاً:

وكل ما أهمله الجوهري من أوزان مصادر الأفعال الثلاثية التي ذكر أفعالها، ومن أوزان الأفعال الثلاثية التي ذكر مصادرها، فإني ذكرته، إما بالنص على حركاته أو برده إلى واحد من الموازين العشرين التي أذكرها الآن إن شاء الله تعالى، إلا ما لم أجده من هذين النوعين في أصول اللغة الموثوق بها والمعتمد عليها، فإني قفوت أثره - رحمه

---

(٨) المعجم العربي لحسين نصار ص ٤٧٠.

الله تعالى- في ذكره مهملاً لئلا أكون زائداً على الأصل شيئاً بطريق القياس، بل كل ما زدته فيه نقلته من أصول اللغة الموثوق بها"[٩].

واشتهر "مختار" الرازي هذا حتى عمد إلى اختصاره غير واحد من المصنفين[١٠].

كتب التكملة والحواشي[١١]:

١- المنتهى لمحمد بن تميم البرمكي، قيل: إنه صنفه في سنة ٣٩٧هـ، ونقل فيه "الصحاح" وزاد فيه أشياء قليلة، وأغرب في ترتيبه[١٢].

٢- حاشية أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري المتوفى سنة ٤٤٤ هـ[١٣].

٣- المعرب عما في "الصحاح" والمغرب لعبدالوهاب بن إبراهيم الزنجاني الخزرجي أتمه في سنة ٦٢٧هـ وفصل فيه نص "الصحاح" عن المغرب، وأشار إلى المغرب بـ"م" وإلى "الصحاح" بـ"ص"[١٤].

٤- الجمع بين "الصحاح" و"الغريب المصنف" لأبي إسحاق إبراهيم بن قاسم البطليوسي (٦٤٢ أو ٦٤٦هـ).

٥- تاج الأسماء في اللغة: جمع "الأسماء" للزمخشري و"السامي" للميداني و"الصحاح" للجوهري ذكره محمد صديق، ولم يذكر مؤلفه.

---

(٩) مختار الصحاح للرازي ص ٦-٧.

(١٠) انظر المعجم العربي ص ٤٧٣- ٤٧٧.

(١١) ذهبت في أول مبحثي هذا إلى أن ما يسمى بـ"التكملة" ليس إلا تعليقاً، وعلى هذا أدخلته في مصطلح "الحواشي"، وسنرى أن طائفة من الفوائد في كتب "التكملة" نجد نظائرها في "الحواشي" وغيرها من كتب هذه "التعليقات" اللغوية.

(١٢) بغية الوعاة ص ٢٨.

(١٣) المصدر السابق ص ٣٧٣.

(١٤) المعجم العربي ص ٤٧٧.

٦- حاشية محمد بن علي الشاطبي (٦٨٤هـ)[١٥].

٧- غوامض الصحاح لخليل أيبك الصفدي (٧٦٤هـ)[١٦].

٨- قيد الأوابد من الفوائد لأبي الفضل أحمد بن حمد الميداني النيسابوري (٥١٨هـ) ذهب بروكلمان إلى أنه نقد فيه الجوهري[١٧].

٩- إصلاح الخلل الواقع في "الصحاح" لعلي بن يوسف القفطي (٦٤٦هـ).

١٠- نقود أبي العباس أحمد بن محمد المعروف بابن الحاج الإشبيلي (٦٤٧هـ أو ٦٥١هـ)[١٨].

١١- مجمع السؤالات من صحاح الجوهري للمجد الفيروزآبادي (٨١٧ هـ)[١٩].

على أن العناية بـ"الصحاح" قد انصرفت إلى مسائل أخرى غير التكملة وبيان الخطأ بل تجاوزت ذلك إلى مسائل هي: الدفاع عن "الجوهري" ودرس شواهده، وترجمته إلى الفارسية والتركية.

ولنعد إلى الكتابين اللذين عقدنا هذا المبحث عليهما فنبدأ بأولهما وهو:

١- كتاب التنبيه والإيضاح عما وقع في "الصحاح":

اشتهر "كتاب التنبيه ..." هذا باسم حواشي ابن بري. غير أنه في حقيقة الأمر عمل بدأه ابن القطاع وتوفي سنة ٥١٥ فواصل العمل تلميذه عبدالله بن بري بن عبدالجبار المقدسي المصري فأخذ ما بدأه شيخه وأكمله حتى بلغ مادة (وقش) وتوفي

---

(١٥) المصدر السابق ص ٤٩١.

(١٦) المصدر السابق.

(١٧) المصدر السابق.

(١٨) البلغة لمحمد صديق حسن ص ١٢٨.

(١٩) المعجم العربي ص ٤٩٣.

سنة ٥٧٢ أو ٥٨٢، ورام أصحابه إكمال العمل فلم يتهيأ ذلك إلى أن أكمله عبدالله بن محمد الأنصاري البسطي في شهور سنة ٦٢٢ هـ[٢٠].

ويبدأ الكتاب بذكر قول الجوهري في المواد التي علق عليها المصنف، ثم يتبع هذا بالتعليق بقوله:

قال الشيخ أبو محمد – رحمه الله-، والدعاء بالرحمة زيادة ممن خلف الشيخ من طلابه الذين جمعوا هذه التعليقات (الحواشي) فكان "كتاب التنبيه ...".

بدأ ابن بري بمادة "أجا" التي وردت في "الصحاح" فقال: قال الشيخ أبو محمد – رحمه الله- ذكر في أوله فصل (أجأ) وأهمل فصل (أبأ) ...

ثم قال: ... وأهمل أيضاً فصل (أتأ)

وأهمل أيضاً فصل (أثأ) ...

وأهمل أيضاً في هذا الباب (بثأ) وبثاء موضع معروف، وأنشد المفضل:

بنفسي ما عَبَثَّمْسِ بنُ سَعْدٍ غَداةَ بثاء إذ عرفوا اليقينا

وقد ذكره الجوهري في فصل الباء من المعتل، وهذا موضعه.

أقول: كأن هذه الإشارات القليلة إلى "إهمال" الجوهري لهذه المواد كانت ممن بدأ العمل في تحرير هذه "التعليقات" قبل ابن بري، أي أن ذلك ربما كان من منهجهم، أو أنها مما استرعت نظرهم في بداية الكتاب، حتى إذا بدأ العمل فيها ابن بري سار على منهجه الذي لم يشتمل على ذكر "الفائت" من المواد.

ولعل هذه "الإشارات" القليلة لما فات الجوهري من المواد نبهت الصاغاني وغيره فجعلوا من منهجهم إكمال ما فات الجوهري فكانت كتب "التكملة".

إذن فما منهج ابن بري في "حواشيه"؟

يقوم منهج ابن بري على أنه يعمد إلى شاهد المادة من الشعر في الصحاح فينسبه إن كان غير منسوب، ويتمه فيذكر الصدر أو العجز إن كان شطراً، ثم يشرح شيئاً من كلماته التي تقدم فائدة خاصة.

---

(٢٠) انظر كشف الظنون ٩٣/٤ عن المعجم العربي ص ٤٨٥.

وهنا يبدو للقارئ اهتمام المصنف بالمادة الأدبية، فقد يأتي بعد الكلام على الشاهد بأبيات أخرى يستحسنها فيشير فيها إلى فوائد، وقد يصحح في روايتها إذا شاع وهم في ذلك مثلاً.

ولنضرب أمثلة توضح منهج المصنف وما جاء به من فوائد أدبية وتاريخية في "حواشيه":

١- جاء في مادة "أوأ":

وذكر (أي الجوهري) في فصل "أوأ": آء شجر على وزن عاع، واحدته آءة.

قال الشيخ (أي ابن بري) – رحمه الله-: الصحيح عند أهل اللغة أن الآء ثمر السرح، وقال أبو زيد: هو عنب أبيض؛ يأكله الناس، ويتخذون منه ربا.

والعذر للجوهري في ذلك أنهم قد يسمون الشجر باسم ثمره فيقول أحدهم: عندي في بستاني التفاح والسفرجل والمشمش، وهو يريد الأشجار فيعبر بالثمرة عن الشجرة، ومنه قوله: "فأنبتنا فيها حباً وعنباً وقضباً وزيتوناً"(٢١).

أقول: إن المصنف أشار إلى وجه الصواب مع أدب جم في أنه التمس العذر الوجيه لما قصر فيه الجوهري معتمداً على ما جاء في لغة التنزيل.

وذكر المصنف في "تعليقه":

وذكر (أي الجوهري) في هذا الفصل قول الشاعر:

أصكُّ مصلَّم الأذنين أجنى له بالسِّيِّ تتُّومٌ وآءُ

قال الشيخ (أي ابن بري) – رحمه الله-: البيت لزهير بن أبي سلمى، وأجنَى في البيت فعل ماض، تقديره أدرك أن يُجْنَى، والتنّوم والآء للظليم، أي صار له التنوم والآء جَنًى يأكله.

وقيل: أجنَى أيضاً من صفة الظليم، والتتُّوم: شجر أغبر، ويروى: "تَنوّب" وهو شجر عظام يُتَّخذ منه أجود القَطِران.

أقول: نسب المصنف الشاهد وشرح ما فيه من الكلم شرحاً مفيداً بذكر هذه الإضافات اللغوية النحوية التي تعين على الفهم.

---

(٢١) الآيات ٢٧، ٢٨، ٢٩ من: سورة عبس.

وجاء في مادة "ب أ ب أ":

وذكر (أي الجوهري) في فصل (بأبأ) البُؤبُؤء: الأصل، ويقال العالم، على مثال السُّرْسُور.

قال الشيخ (أي ابن برّي) – رحمه الله-: ذكر ابن خالويه البُؤْبُؤ – بلا مدّ- على مثال الفلفل، فقال:

البُؤْبُؤ: بُؤْبُؤ العين.

والبُؤْبُؤُ: السيّد

والبُؤْبُؤُ: الأصل

وأنشد على "البُؤْبُؤ" بمعنى السيّد قول الراجز في صفة امرأة:

قد فاقت البُؤْبُؤُ والبُؤَيْبِيَهْ

والجلد منها غِرْقِئُ القُوَيْقِيَهْ

قال ابن خالويه: البُؤْبُؤ السيّد، والبُؤَيْبِيَة: السيّدة، فهذا قول ابن خالويهِ، أعني البُؤْبُؤ بغير مدّ، وكذا ذكره ابن فارس، وأنشد لجرير:

في بُؤْبُؤِ المجدِ وبُحْبُوحِ الكَرَمْ

وأما القالي فإنه أنشده:

في ضِئْضِئِ المجدِ وبُؤْبُوءِ الكَرَمْ

فعلى هذه الرواية يصح ما ذكره الجوهري من كونه على مثال سرسور، وكأنهما لغتان.

أقول: وهذا نموذج من "تعليقاته" التي تظهر أنه لا يتعجل القول بـ"الخطأ"، وأنه يتحرى العلم مع الحق والعدل والنصفة، وأنه "يكمل" ما فات الجوهري من ذكر المعاني للكلمة التي لم تستوف في "الصحاح".

وجاء في مادة "ب ك أ":

وذكر (أي الجوهري) في فصل (بكأ) عجز بيت لسلامة بن جندل شاهداً على "بَكُوَتْ الناقةُ" بمعنى قلّ لبَنُها، وهو:

ولو تعادَى بَبكْء كلُّ محلوبِ

قال الشيخ - رحمه الله-: صدره:

يقال مَحبِسُها أدنَى لمرتَعِها

وقبله:

وشَدَّ كُورٍ على وجناءَ ناجيةٍ وشدَّ سرجٍ على جَرداءَ سُرْحُوبِ

وأراد "محبسها" أي حبس هذه الإبل والخيل على الحرب ومقالتة العدو على الثغر، أدنى وأقرب من أن ترتع وتخصب ويضيع الثغر في إرسالها لترعى وتخصب.

أقول: لقد أكمل الشاهد بذكر صدر البيت مع البيت الذي قبله، وذكره مفيد، فقد شرح البيت، والشرح يتطلب هذه الزيادة المفيدة.

وجاء في مادة "ح و ب":

وذكر (أي الجوهري) في فصل (حوب) بيتاً شاهداً على "الحوبة" بمعنى الهم والحاجة، وهو:

فهب لي خنيساً واتخذ فيه منة لحوبة أم ما يسوغ شرابها

قال الشيخ – رحمه الله-: البيت للفرزدق، وكانت امرأة عاذت بقبر أبيه غالب، فقال لها: ما الذي دعاك إلى هذا؟ فقالت: إن لي ابناً بالسند في اعتقال تميم بن زيد القيني وكان في اعتقال خالد القسري على السند فكتب من ساعته إليه:

كتبتُ وعجَّلْتُ البِرادةَ إنَّني إذا حاجةٌ حاولتُ عَجَّتْ رِكابُها
ولي ببلادِ السِّنْدِ عند أميرها حوائجُ جَمّاتٌ وعندي ثَوابُها
أتَتْني فعاذت - ذاتُ شكوى- بغالبٍ وبالحُفرةِ السافي عليها تُرابُها
فقلتُ لها إيهِ اطلبُي كلَّ حاجةٍ لديَّ فخفَّتْ حاجةٌ وطِلابُها
فقالتْ بُحزنٍ حاجتي إنَّ واحدي خُنَيْساً بأرض السِّنْد خَوَّى سَحابُها
فهبْ لي خُنَيْساً واتَّخِذْ فيه مِنَّةً لحَوبةِ أمٍّ يَسُوغُ شَرابُها
تميمُ بنُ زيدٍ لا تكونَنَّ حاجتي بظهرٍ، ولا يَعيَا عليَّ جَوابُها
ولا تَقْلِبَنْ ظَهراً لبَطْنٍ صحيفتي فشاهدُها فيها عليك كتابُها

فلما ورد الكتاب على تميم قال لكاتبه: أتعرف الرجل؟ فقال: كيف أعرف من لم ينسب إلى أب ولا قبيلة؟ ولا تحققت اسمه: أهو خنيس أم حبيش؟ فقال: أحضر كل من اسمه خنيس أو حبيش، فأحضرَهَم فوجد عدَّتَهم أربعين رجلاً، فأعطَى كلَّ واحد ما يتسفَّرُ به، وقال: اقفلوا إلى حضرة أبي فراس.

أقول: كان البيت الشاهد الذي نسبه ابن بري إلى الفرزدق حافزاً بل موجباً إلى أن يعرض للمناسبة التي قيلت من أجلها المقطوعة.

إن هذه التعليقة مفيدة فائدة أدبية تاريخية، فهي مثل من الأمثلة التي تبرز قيمة الشاعر في المجتمع القديم إلى جانب قيمة الشعر من الناحية الأدبية التاريخية، وهذا يعني أن لمنزلة الفرزدق ومروءته وخلقه الأثر الكبير فيما عرض لتلك المرأة من ظلامة، ولم يتم لها قضاء هذه الحاجة لولا هذا الذي أقدم عليه الفرزدق، إن هذا الأثر الكبير ليتضح في موقف تميم بن زيد عامل خالد القسري على السند، وكيف كان اهتمامه بالرسالة، وأنه أصبح في حرج في كل من اسمه خُنَيْس أو حُبَيْش، وذلك لأنه هو وكاتبه لم يهتديا إلى المقصود، فاضطرا أن يُخليا سبيل كلِّ مَن اسمُه خُنَيْس أو حُبَيْش.

ثم فائدة أخرى فنية تاريخية تتصل برسم الحرف العربي في العصر الأموي الذي عاش فيه الفرزدق، وهي أن إعجام الحرف وإهماله كانا مشكلة تؤدي إلى نتائج خاصة، وعلى هذا ألا يحق لنا أن نقول: كم حمل هذا الأمر من الضيم على الخبر القديم في الإعلام، ألم يصحَّف عَيْلان مثلاً إلى غَيْلان أو العكس؟

وماذا نقول في : حبيب وخبيب، وبسر وبشر، إن شيئاً من ذلك قد ولد من الأمر المشكل ما حفز أهل العلم إلى أن يصنفوا في باب "المشتبه" و"المختلف والمؤتلف".

ولا نستبعد أن يكون شيء من ذلك قد دخل في متن اللغة وأصله ضرب من التصحيف!! ومثل هذه "التعليقات" ذات الفائدة الأدبية التاريخية الشيء الكثير مما نستجليه في المواد اللغوية في "كتاب التنبيه ...".

ولنختم هذا الباب فتعرض لمادة "ط ب ب" فقال:

وذكر (أي الجوهري) في فصل (طبب) بيتاً للمرار شاهداً عل أن كل حاذق يقال له: طبيب، وهو:

تدين لمزرور إلى جنب حلقة من الثِّبْه سَوّاها برِفْقٍ طبيبُها

قال الشيخ – رحمه الله- البيت للمرار بن سعيد الفقعسي، وليس بالمرار بن منفذ الحنظليّ، ولا بالمرار بن سلامة العِجْليّ، ولا بالمرار بن بشير الذُّهليّ، وسأشير إلى شرحه بأوفى من هذا في فصل (زرر). ومعنى "تدين" "تطيع" و"المرور" الزمام المربوط بالبرة، وهو معنى قوله: ... حلقة من الثِّبْه...

وهو الصفر، أي تطبع هذه الناقة زمامها المربوط إلى برة أنفها.

ومثل هذه الفوائد الأدبية التاريخية الكثير الذي نجده في أغلب المواد التي عرض لها ابن بري في "تعليقاته". ولك أن تفيد من المواد: شعب، وعرقب، وكرب، وغوث، وحوج، وربح.

قلت: إن طائفة من "التعليقات" تزودنا بفوائد لغوية نحوية وتاريخية، ولنعرض لشيء من ذلك على سبيل المثال:

جاء في مادة "شي ي أ":

وذكر في فصل (شيء): إن الخليل يرى أن أشياء فعلاء جمع على غير واحدة كما أن الشعراء جمع على غير واحدة.

قال الشيخ - رحمه الله-: حكايته عن الخليل أنها جمع على غير واحدة كشاعر وشعراء وهم منه، بل واحدها شيء، وليست أشياء عنده بجمع مكسر، وإنما هي اسم واحد بمنزلة الطرفاء، والقصباء، والحلفاء، ولكنه يجعلها بدلاً من جمع مكسر بدلالة إضافة العدد القليل إليها كقولهم: ثلاثة أشياء.

وأما جمعها على غير واحدها فمذهب الأخفش، لأنه يرى أن "أشياء" وزنها "أفعلاء" وأصلها أشييء فحذفت الهمزة تخفيفاً، وكان أبو علي يجيز قول أبي الحسن على أن يكون واحدها "شيئاً"، ويكون "أفعلاء" نحو: سمح وسمحاء، وهو وهم من أبي علي لأن "شيئاً" اسم، و"سمحاً" صفة بمعنى سميح، لأن اسم الفاعل من "سمح" قياسه سميح، وسميح يجمع على سمحاء كظريف وظرفاء، ومثله خصم وخصماء لأنه في معنى خصيم.

والخليل وسيبويه يقولان: أصلها شيئاء، فقدمت الهمزة التي هي لام إلى أول الكلمة: فصارت أشياء، فوزنها على هذا لفعاء، ويدل على صحة هذا أن العرب قالت في تصغيرها أُشَيّاء، ولو كانت جمعاً مكسراً كما ذهب إليه الأخفش لقيل في تصغيرها شُيَيْئات كما يفعل ذلك في الجموع المكسرة كجِمال وكِعاب وكِلاب، تقول في تصغيرها: جُمَيْلات وكُعَيْبات وكُلَيْبات، فتردها إلى الواحد، ثم تجمعها بالألف والتاء.

وجاء في مادة "و ح د".

وذكر (أي الجوهري) في فصل "وحد": أن "وَحْدَه" في قولك: رأيته وحدَه، منصوب عند أهل الكوفة على الظرف، وعند أهل البصرة على المصدر.

قال الشيخ – رحمه الله-: أما أهل البصرة فينصبونه على الحال، وهو عندهم اسم واقع موقع المصدر المنتصب على الحال، مثل: جاء زيد ركضاً أي راكضاً، ومن البصريين من ينصبه على الظرف، وهو مذهب يونس، وليس ذلك مختصاً بالكوفيين كما زعم ...

وهذا النمط من التعليقات اللغوية نجده مبثوثاً في مواد كثيرة من كتاب "التنبيه ..." ومنها: سلب وصوب وعتب ونصب وملح ونبح ونصح وأمس ...

على أن في "التعليقات" ما يشير إلى صواب نسبة شاهد كما في مادة "وجد يجد"، بضم الجيم في المضارع، والشاهد هو قول لبيد كما زعم الجوهري في "الصحاح":

لو شِئتِ قد نَقَعَ الفؤادُ بشَرْبةٍ تَدَعُ الصَّوادي لا يَجُدْنَ غليلا

قال الشيخ – رحمه الله-: البيت لجرير وليس للبيد كما زعم، وبعده:

بالعذب في رَضفِ القِلات مَقيلُه قَضُّ الأباطحِ لا يزال ظليلا

قوله: نقع الفؤاد أي روى ..

عود إلى "الكتاب" ومقدمة المحقق.

أقول: لقد بذل الأستاذ المحقق من الجهد الصادق والعمل المتقن ما هيأ لهذا العلق النفيس أن يأتي على خير صورة من الضبط في النص بالإفادة من الأصول

المخطوطة ولسان العرب، وبما زين النص بالفوائد السنية التي ظهرت في حواشي المحقق. ولا بد لي أن أقف على أشياء يسيرة لا تنال من هذه الديباجة المشرقة شيئاً ما.

أقول: وقفت وقفات لا بد من بسطها في هذا الموجز:

جاء في كلمة صاحب التصدير الأستاذ علي النجدي ناصف – رحمه الله-:

فهل يرجى أن تتولى الجمع بينهما (أي الصحاح وحواشيه) على هذه الصورة دار من النشر العتيدة، تحفزها رغبة خالصة في استحياء التراث!!

أقول: حرت والله في إدراك معنى "العنيدة"، ما المراد منها؟ الذي أعرفه أن "العتيد هو المعد الحاضر، ومنه ما جاء في لغة التنزيل: "هذا ما لدي عتيد" ٣، سورة (ق). كأنه يعني ما كتبه من عمله حاضر عندي.

فهل تكون دور النشر حاضرة معدة، إذا كان هذا هو المراد فليس للصفة فائدة، ذلك أن دور النشر معنية بالنشر للكتب!!

أقول: لعل هذه الكلمة التي ران عليها ضباب الشيوع قد غام شيء من حقيقتها!

ثم إني وقفت ثانية على "استحياء التراث"!

أقول: الذي أعرفه من هذه الكلمة ما جاء في قوله تعالى: "... ويستحيون نساءكم" ٤٩ سورة البقرة. أي يستبقونهن، واستحياه: استبقاه حياً.

ولم أقف على ما يريده الأستاذ الجليل - رحمه الله- في قوله "استحياء التراث" بمعنى إحياء التراث!

إذا كان هذا هو المراد فلم عدل عن "الإحياء" إلى "الاستحياء" التي أفادت ما صرحت به الآية الكريمة؟

ولنأت الآن إلى "المقدمة" لنجد المحقق الفاضل في الحاشية (١) من الصفحة الخامسة يقول:

١- تضبط الصاد من كلمة "الصحاح" بالكسر على أنه جمع صحيح مثل كريم وكرام، وبالفتح صفة بمعنى صحيح مثل شحيح وشحاح وبجيل وبجال، وهو من الأمثلة التي عدها ابن السكيت مما جاء على فعيل وفعال بمعنى، وانظر إصلاح المنطق ١٠٧، ١٠٨.

أقول: هذه الحاشية صحيحة وإن ما في "إصلاح المنطق" من فصيح العربية، ولكني أتساءل فأقول: هل جاء في الخبر أن كتاب الجوهري قد ورد بفتح الصاد "الصحاح" وأن أحداً م المتقدمين قد نص على هذا الوجه؟

إذا كان شيء من هذا فكان على المعنيين بـ"الصحاح" ذكره.

غير أني لم أقف على شيء من ذلك، ثم أتساءل فأقول: إذا كان الجوهري أراد المفرد بفتح الصاد فلم لم يجعله "الصحيح" أسوة بـ"صحيح" البخاري و"صحيح" مسلم وغيرهما؟ هذا مجرد تساؤل.

٢- وجاء في الصفحة السادسة من "المقدمة" قول الأستاذ المحقق في الكلام على النظام الذي اتبعه الجوهري في "الصحاح":

... فقد رتبت الجذور اللغوية على الحرف الأخير منها ...

أقول: من غير شك أن المحقق قد أراد بـ"الجذور اللغوية" ما سماه ابن بري "فصولاً" وما نسميه في عصرنا بـ"المواد اللغوية" وما سمي قديماً أيضاً "الأصول اللغوية".

ولا أرى حاجة أن نستعمل "الجذور" فهي دخيلة منقولة بالترجمة عن الفرنسية Les racines أو عن الإنجليزية The roots.

أقول: إذا كنا نملك الكلمة العربية الفصيحة مصطلحاً دقيقاً جرى عليه المتقدمون ومن خلف من بعدهم فهلا نركب شططاً إذا صرنا إلى جديد وافد علينا!!

٣- وجاء في الصفحة الخامسة عشرة قول الأستاذ المحقق:

ترى بعد هذا الذي أسلفناه – وبناء عليه- هل يسوغ لنا أن نكمل حواشي ابن بري من رواية ابن منظور لها في "لسان العرب"؟

أقول: أيحق لنا أن نستبعد عبارة: "وبناء عليه" من هذه المقدمة الجميلة المفيدة، لأنها لا تليق بها، فهي عبارة من العبارات الدارجة في لغة الدواوين، فما أحرانا باستبعادها.

٤- وجاء في الصفحة نفسها قول المحقق:

إننا نستطيع أن نستقرئ (كذا) نقول ابن منظور عن ابن بري ...

أقول أراد بقوله: "نستقرئ" نتتبع، والصواب: نستقري بالياء، ولم يعرض هذا الوهم للكتاب إلا بتوهم أصالة الهمزة التي وجدوها في المصدر "استقراء"، وحقيقة الهمزة في "الاستقراء" أنها من الياء كالهمزة في "بناء" و"استحياء".

ومن يدري فلعلنا في يوم ما سنصير إلى الفعل "استبقأ" نأخذه على توهم أصالة الهمزة في "استبقاء".

أقول: إذا جاز أن نقول "نستقرئ" خطأ فلا بد أن نصير إلى خطأ مثله آخر!

٥- وجاء في الصفحة التاسعة والثلاثين من "المقدمة" استعمال المحقق كلمة "حياة" لتعني "سيرة" المؤلف.

أقول: و"الحياة" وافدة علينا من ترجمة الكلمة الفرنسية La vie أو من الكلمة الإنكليزية The life. وإذا كان المتقدمون قد استعملوا "السيرة" و"السير" لما نستعمله من لفظة "الحياة" فلم نلجأ للكلمة الجديدة التي تقابل هذه الكلمة الأصيلة.

٦- وجاء في الصفحة الثامنة والأربعين من "المقدمة" قول القفطي:

لما دخلت نسخة "الصحاح" إلى مصر نظرها الناس فاستجودوا قرب مأخذها. وقد علق المحقق فقال: استجود جاء بالواو على أصله كما جاء استروح واستصوب واستحوذ.

أقول: ليس في العربية "استجود" والذي جاء على مثاله استحوذ واستصوب واستصاب واستجوب واستجاب. ومن يدري فلعله لغة سائرة في زمان القفطي، وقد جدت قياساً على نظائرها.

٧- وجاء في الصفحة الرابعة من الكتاب في مادة (أوأ):

قال الشيخ – رحمه الله-: ...

وقال أبو زياد: ...

وقد علق المحقق في حاشيته: في "اللسان" و"التاج": أبو زيد.

أقول: والصواب ما في "اللسان" و"التاج"، وكان الأولى بالمحقق أن يثبته ويشير إلى ما جاء في الأصول المخطوطة في الحاشية، وذلك لأن "أبا زيد" يكون في هذا النص، وإن "أبا زياد" نكرة لا نعرف من أمره شيئاً بين اللغويين والنحاة.

٢ـ كتاب "التكملة والذي والصلة" لكتاب "تاج اللغة وصحاح العربية" للحسن بن محمد بن الحسن الصغاني[٢٢].

بدأ المحقق الأول بكلمة "تصدير" بقلم الدكتور إبراهيم مدكور الأمين العام لمجمع اللغة العربية تكلم فيه على التراث اللغوي وجهد "المجمع" في نشره وإحيائه وإن من هذا الجهد اعتزامه نشر طائفة من معجمات العربية، فكان أحدها كتاب "التكملة" هذا، وعهد إلى نخبة من أهل التحقيق للقيام بهذا العمل. واستهلك هذا التصدير صفحتين.

ثم كان "التقديم" بقلم الأستاذ عبدالحميد حسن عضو المجمع، فتكلم في صفحتين عن (ذخائر الثقافة العربية الحافلة بـ"قيم" المؤلفات في اللغة والعلم والأدب وشتى فروع المعرفة التي كانت ولا تزال هادياً للباحثين.

وقد ظلت هذه الذخائر عبر الأجيال ترسل أشعتها ثاقبة تارة وخافتة تارة أخرى ... حتى أتاح الله لبعضها من عرف قدرها فبذل جانباً من الرعاية والعناية وأخرجها ...)[٢٣].

ثم تكلم على جهد المجمع في حفظ اللغة العربية لغة القرآن ... لقد استوعبت هذه الديباجة الصفحة الأولى من "التقديم"، فانتقل في الصفحة الثانية إلى الكلام عن مؤلف الكتاب وهو الصغاني، فكانت ترجمة موجزة لسيرته وبيان طائفة من "مصنفاته".

أما الكلام على "الكتاب" أي "التكملة" فقد استعار صاحب التقديم ما كتبه الصغاني نفسه في آخر "التكملة"، وقد استوفى أكثر من صفحة ونصف صفحة.

وبعد هذا كله جاء "منهج التحقيق" وهو الكلام على النسخ المخطوطة الأربع، فكان لهذا القسم ثلاث صفحات.

---

(٢٢) شارك في تحقيق هذا المعجم ثلاثة من الأساتذة، فكان الجزءان الأول والرابع بتحقيق عبدالعليم الطحاوي ومراجعة الأستاذ عبدالحميد حسن عضو المجمع، والجزءان الثاني والخامس بتحقيق إبراهيم الأبياري ومراجعة الأستاذ محمد خلف الله، والجزءان الثالث والسادس بتحقيق أبي الفضل إبراهيم ومراجعة الدكتور مهدي علام.

(٢٣) تقديم "التكملة" ص ٧.

أقول: لم يجد المؤلف أن الضرورة تدعو إلى دراسة الكتاب والوقوف على منهج صاحبه وكيف كان عمله، ثم الكلام على علاقة هذا العمل الكبير بالأعمال المماثلة التي سبقته.

لم يكن شيء من هذا، ولنبدأ العمل على بركة الله – سبحانه- فنعرض للكلمة التي ذيل بها الصاغاني "تكملته" وهذا شيء منها:

"قال الملتجئ إلى حرم الله تعالى الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني تجاوز الله عنه، هذا آخر ما أملاه الحفظ وأمله الخاطر من اللغات التي وصلت إلي، وغرائب الألفاظ التي انثالت علي، وهذا بعد أن علتني كبرة وأحطت بما جمع مَنَ كتب اللغة خبراً وخبرة، ولم آل جهداً في التقرير والتحرير والتحقيق وإيراد ما هو به حقيق، وإخراج ما لا تدعو الضرورة إلى ذكره، حذراً من اضجار متأمليه، وتخفيفاً على قارئيه، وإن كان ما من الله تعالى به من التوسعة ومنحه الاقتدار على البسط وزيادة الشواهد من فصيح الأشعار وشوارد الألفاظ إلى غير ذلك مما أعجز عن أداء شكره ليكون للمتأدبين معيناً، ولهم على معرفة لغات الكلام الإلهي واللفظ النبوي معيناً، فمن رابه شيء في هذا الكتاب فلا يتسارع إلى القدح والتزييف، والنسبة إلى التصحيف والتحريف، حتى يعاود الأصول التي استخرجت منها، والمآخذ التي أخذت على تلك الأصول، وإنها تربى على ألف مصدر من كتب الحديث: كغريب أبي عبيدة وأبي عبيد والقتبي والخطابي والحربي، والفائق للزمخشري، والملخص للباقرجي والغريب للسمعاني وجمل الغرائب للنيسابوري، ومن كتب اللغة والنحو ودوواين الشعراء وأراجيز الرجاز وكتب الأبنية وتصانيف محمد بن حبيب كالمنمق والمؤتلف، وما جاء اسمين أحدهما أشهر من صاحبه، وكتاب الطير وكتاب النخلة وجمهرة النسب لابن الكلبي ...

وهكذا يستمر المصنف فيذكر من أسامي الكتب التي أفاد منها ما استوعب أكثر من صفحة من الكتاب.

وهذا كل ما جاء في مقدمة صاحب "التقديم" لهذا الكتاب الذي يخرج محققاً أول مرة، وكنت أطمع في زيادة توضح وتشرح وتبين ما يتصل بالنهج الذي سار عليه المؤلف مثلاً، وفي أشياء أخرى تتصل بأصوال الكتاب الخطية.

ولنعد إلى مقدمة الصغاني نفسه لنرى ما عرض فيها:

قال الملتجئ إلى حرم الله تعالى، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني أعاذه الله من أن يهوي إلى هوى قلبه، أو يعتقد منعماً سوى ربه:

هذا كتاب جمعت فيه ما أهمله أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري – رحمه الله- في "كتابه"، وذيلت عليه، وسميته كتاب "التكملة والذيل والصلة"، غير مدع استيفاء ما أهمله، واستيعاء ما أغفله، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وفوق كل ذي علم عليم وكم ترك الأول للآخر ...

ولنعد إلى "الكتاب" فنتحرى ما أوجزه المصنف في "مقدمته".

١- إن الكتاب اشتمل على قدر كبير من المواد التي أهملها الجوهري، وكنت قد اقتصرت في مبحثي هذا على الجزء الأول من الكتاب، فكان هذا شيئاً من ربع مواد الجزء.

أقول: إن ذكر "المهمل" هذا يجعل صنيع الصاغاني "تكملة وذيلاً وصلة" بحق، وسآتي على هذا القدر مما أهمله الجوهري في هذا الجزء لأقول فيه بعض الفوائد.

٢- ومن فوائد الكتاب الأخرى المعاني والأبنية التي لم يذكرها الجوهري حين أورد موادها وهذا قدر كبير، وهو يعني أن الجوهري اجتزأ بشيء من المعاني والأبنية وأهمل ما سوى ذلك، أنت تقف على هذا في أغلب ما اشتمل عليه كتاب "التكملة ...".

ودونك مادة (جيأ):

شمر: جَيَّأْتُ القِرْبةَ: خِطْتُها. وأنشد للجُمَيح:

تَخَـــرَّقَ ثُغرُهـــا أيّـــامَ خُلَّـــتْ علـــى عَجَـــلٍ فجيـــبَ بهـــا أديـــمُ
فَجَّيأَهـــا النســـاءُ فخـــانَ منهـــا كَبَعثـــاةٌ ورادعـــــــةٌ رَدُوم

الرادعة: الأست. والردوم: الضروط.

وقال ابن الأعرابي: جايأني الرجل من قرب أي قابلني: ومَرَّ بي مُجايأةً أي مُقابَلةً.

وقال أبو زيد: جَايَأْتُ فلاناً أي وافقت مجيئه ...

والجَيْـأَة بـالفتح: الموضـع الـذي يجتمـع فيـه المـاء، وكـذلك الجِئـة مثـال الجِعـة، والثانية محذوفة على وزن عِدة، قال الكميت:

والجيأة موضع أو منهل، وأنشد شمر:

وفي كتاب الحروف لأبي عمرو الشيباني:

الجِيئة: الدم والقَيْح. وأنشد البيت: فجيَّأَها النساء ...

أقول: إنك ترى المصنف يذكر المعنى مسنداً إلى أحد المتقدمين من اللغويين، ويأتي بالشاهد فيعرض لمواده اللغوية بالشرح والفوائد الأخرى.

٣- وهو حين يذكر ما تركه الجوهري من الكلم والمعاني نجده في أغلب الأحيان ناقداً مصححاً.

قلت إن الصاغاني في مواد كثيرة ناقد مصحح، يشير إلى موطن الخطأ فيذكر الصواب، كما يشير إلى سوء وضع الكلمة لأنها وردت مهموزة وهي معتلة أو العكس مثلاً، ولنعرض لشيء من ذلك:

جاء في مادة (جيأ):

وقول الجوهري: جاءاني على "فاعَلَني" غلط والصواب جايَأَني لأنه معتل العين مهموز اللازم لا على العكس.

ومثل هذا ما جاء في مادة (تأب) قول المصنف:

ذكر الجوهري التَّوْأَبانيّين في هذا الفصل، والتاء في التَّوْأَبانيَين غير أصلية وموضعها فصل الواو.

٤- وهو ينسب الشاهد إلى الشاعر إن لم يكن منسوباً، وقد يصحح أو يكمل في رواية البيت. وقد يكون الشاهد شطراً من بيت فيأتي بما يكمله. ويذكر رواية للبيت إن كانت له رواية معروفة شائعة، وقد يصحح في لفظه ويشرح معناه وشيئاً من كلمه، كما يأتي أحياناً على ذكر المناسبة التي قيل فيها البيت أو المقطوعة مثلاً، ولنعرض لشيء من ذلك على سبيل المثال:

ذكر في مادة (بأبأ):

قال الجوهري: بَأْبَأْتُ الصبيَّ: إذا قلت له: بأبي أنتَ وأُمِّي، قال الراجز:

وصاحبٍ ذي غَمْرةٍ داجَيْتُهُ

بَأْبَأْتُه وإنْ أبَـيَ فَدَّيْتُهُ

حتّى أَتَى الحيَّ وما آذَيْتُهُ

قال الصغاني: وبين قوله: "داجَيْتُه" وقوله: "بَأْبَأْتُه" مشطور وهو:

زَجَّيْتُه بالقول وازدَجَيْتُهُ

وجاء في مادة (بدأ):

وأنشد الجوهري للكميت في هذا التركيب:

فكأنما بُدِئَتْ ظواهر جِلْدِه مما يُصافِحُ من لهيبِ سِهامِها

قال الصغاني: وليس للكميت على هذا الروي شيء.

وجاء في مادة (بكأ):

فليأْزِلَنَّ وتبكؤُنَّ لقاحُه وُيعَلَّلَنَّ صبيَّه بسَمارِ

والرواية: ولَيأْزِلَنَّ بالواو منسوقاً على ما قبله وهو:

فليضرِبَنَّ المرءَ مفرِقَ خالِهِ ضربَ الفِقارِ بمِعْوَلِ الجَزّارِ

والبيتان لأبي مُكعِث الأسديّ.

وجاء في مادة (حلأ):

وأنشد الجوهري لامرئ القيس في هذا التركيب:

كمَشْيِ أَتانٍ حُلِّئَتْ عن مَناهِلِ

والرواية: كمَشْيِ الاتانِ حُلِّئَت بالمنَاهِلِ

وصدره: وأعجَبَني مشيُ الحِزِقَّةِ خالدٍ.

وروى أبو عبيدة: ويا عَجَبي يمشي الحِزِقَّةَ خالدٌ.

وجاء في مادة (زأزأ):

قدر زُؤَزِنةٌ وزُؤازِنةٌ، بالهمز، العظيمة الواسعة، وذكرها الجوهري في المعتل، وهي مهموزة من الزَّأْزَأة، وهي الضَمّ، قال أبو حزام غالب بن الحارث العكلي:

وعندي زُؤازِنةٌ وَأْبَةٌ تُزَازِئُ بالدَّأْثِ ما تَهْجُؤُهْ

أي تُضَمُّ.

وجاء في مادة (نسأ):

وقال الجوهري: قال عروة بن الورد العبسيّ:

سَقَوني النَّسْءَ ثمَّ تَكَنَّفُوني عُداةَ اللهِ من كَذِبٍ وزُورِ

والرواية: النِّسْيَ، بالكسر غير مهموز، أي مُسْكراً أنساه العقل، ويقال لكل مسكر: نِسْي، وذلك أنهم سَقَوه الخمرَ وطلبوا إليه أن يفتدوا منه امرأته أم وهب لأنه كان سباها، فلما سكر أجابهم إلى ذلك.

وجاء في مادة (حبب):

وقال الجوهري: قال هُدْبة بن الخَشْرم:

فما وَجدَتَ وَجْدي بها أُمُّ واحدٍ ولا وَجْدَ حُبَّى بابنِ أُمِّ كِلابِ

قال الصغاني: وليس البيت لهدبة؟

وجاء في مادة (حسب):

وقال الجوهري: قال الشاعر:

ونُقفي وليدَ الحيّ إنْ كان جائعاً ونُحسبُه إن كان ليس بجائع

والصواب: قالت امرأة، فإن البيت لامرأة من قيس يقال لها أمّ العبّاس.

وجاء في مادة (شيب):

قال الجوهري: قال ابن السكيت في قول عدي:

والرأسُ قد شابَهُ المشيبُ

وليس الشعر لعدي بن زيد ولا لعديّ بنِ الرقاع.

أقول: وفي" كتاب التنبيه والإيضاح ..." لابن بري، الذي تحدثنا عنه في هذا المبحث، أن البيت لعبيد بن الأبرص، وصدره:

"تصبو وأنى لك التصابي" وانظر ج١ ص١٠١ من الكتاب المذكور.

وجاء في مادة (طبب):

وقال الجوهري: قال الكميت:

وما إنْ طِبُّنا ولكن مَنايانا ودُولةُ آخَرينا

قال الصغانيّ: وليس البيت للكميت، وإنما هو لفروة بن مُسَيْك، وللكميت قصيدة على هذا الوزن والروي أولها:

الا حُيِّيتِ عنّا يا مَدينا

وجاء في مادة (عرب):

قال الجوهري: والعَرَبة النفس، قال الشاعر:

لما أتيتُكَ أرجُو فضلَ نائِلكم نَفَحْتَني نَفْحةً طابتْ بها العَرَبُ

قال الصغانيّ: والبيت مُغَيَّر، وهو لابن ميّادة يمدح الوليد بن يزيد، والرواية:

لما أتيتُكَ من نجْدٍ وساكنهِ نَفَحْتَ لي نَفْحةً طارتَ لها العَرَبُ

وجاء أيضاً في هذه المادة:

وقال الجوهري: وعرابة، بالفتح، اسم رجل من الأنصار من الأوس، قال الحطيئة:

إذا ما رايةٌ رُفِعِتْ لمجدٍ تَلَقَّاها عَرابةُ باليمينِ

قال الصغاني: وليس البيت للحطيئة وإنما هو للشمّاخ.

وذكر المبرد وابن قتيبة ومحمد بن سعد: أن الشماخ خرج يريد المدينة فلقيه عَرابةُ بنُ أوس فسأله عما أقدمه المدينة، فقال: أردت أن أمتار لأهلي، وكان معه بعيران، فأوقرهما عرابة تمراً وبراً وكساء وأكرمه، فخرج من المدينة وامتدحه بالقصيدة التي يقول فيها:

رأيتُ عَرابةَ الأوسيَّ يسمُو إلى الخيراتِ منقطعَ القرينِ

إذا ما راية ...

وأختم هذه الفوائد بما جاء في مادة (حتت):

قال الجوهري: وأما قول الفرزدق:

فإنَّكَ واجدٌ دوني صَعودا جراثيمَ الأقارعِ والحُتاتِ

فيعني به حُتاتَ بنَ زيد المجاشعيّ. وإنما هو حُتاتُ بنُ يزيد، وحُتاتٌ لقب، واسمه بِشْرٌ.

٥- وقد يذكر الحديث فيعلق عليه وقد يصححه كما ورد في مادة (خلأ):

وقال الجوهريّ: وفي حديث سُراقة: "ما خَلأَتْ ولا حَرَنَتْ ولكن حبسها حابس الفيل.".

قال الصغاني: ونسبة الحديث إلى سُراقة سهو، وإنما هو حديث النبي – صلى الله عليه وسلم- قاله عام الحُدَيْبِية، رواه المِسْوَرُ ابن مَخْرَمة ومروان بن الحكم.

ولنعد إلى ما أهمله الجوهري وذكره الصغاني فنقول: إنه اشتمل على مواد ثلاثية وأخرى رباعية، فأما الثلاثية فهي طائفة كبيرة. وكأن الجوهري أراد أن يستبعد من "الصحاح" الغريب الذي يندرج في باب "النوادر". وسنعرض لهذه المواد التي أهملها ووردت في الجزء الأول من كتاب "التكملة ..." فقط لنتبين هذا الغريب "النادر". وقد أورد الصاغاني هذا "المهمل"، وهو حين يذكره بقوله: "أهمله الجوهري" يعقبه بقول لأحد المتقدمين من اللغويين فيه، كأن يقول في "جلأ": وأهمله الجوهري، وقال أبو زيد: جلأت به الأرض أي ضربت ...

ودونك المواد الثلاثية التي أهملها الجوهري ووردت في الجزء الأول من "التكملة":

تفأ: أهمله الجوهري، يقال: تَفِئَ بالكسر تَفَأً إذا احتَدَّ وغَضِبَ.

جلأ: أهمله الجوهري، وقال أبو زيد ...

جمأ: أهمله الجوهري، وقال أبو عمرو: التَجَمُّؤ ...

خفأ: " " ، وقال الليث ...

دبأ: " " ، وقال أبو زيد ...

رتأ: " " ، وقال ابن دريد ...

زوأ: " " ، وقال أبو عبيد ...

ستأ: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

سدأ: " " ، وقال الكسائي ...

سطأ: " " ، وقال ابن بزرج ...

شسأ: " " ، وقال الأزهري ...

شكأ": " " ، وقال الفراء ...

شوأ: " " ، وقال الليث ...

ضرأ: " " ، وقال أبو عمرو ...

ضيأ: أهمله الجوهري ، يقال: ضيأت المرأة: كثر ولدها، وهو تصحيف ضنأت.

أقول: إذا كان هذا تصحيفاً فلم أُدرِجَ في باب "المهمل"؟ ولم أُدرِجَ في المعجمات الأخرى؟

طشأ: " " ، وقال الفراء ...

ظوأ: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ظيأ: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

عدأ: " " ، ويقال ...

غبأ: " " ، ...

فبأ: " " ، والفبأة المطرة السريعة ساعة ثم تسكن ..

فضأ: " " ، وقال الأصمعي ...

فلأ: " " ، ...

فنأ: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

قدأ: " " ، وقال شمر ...

لثأ: " " ، وقال الفراء ...

مطأ: " " ، وقال ابن الفرج ...

أثب: " " ، وقال الليث ...

تجب: " " ، وقال الليث

تنب: " " ، وقال الدينوري ...

ثطب: " " ، وقال ابن الأعرابي

جزب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

جغب: " " ، وقال ابن دريد ...

دجب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

دحب: " " ، وقال ابن دريد ...

ددب: " " ، وقال الأزهري: الدَّيْدَبان ...

وذكر الجوهري الديديون بمعنى اللهو في باب النون والصواب ذكره في هذا الموضع.

دكب: " " ، وقال ابن الاعرابي ...

ذعب: " " ، وقال الأصمعي ...

رشب: " " ، وقال أبو عمرو ...

زحب: " " ، وقال ابن دريد ...

زخب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

زكب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

زلب: " " ، ...

زنب: " " ، وقال أبو عمرو ...

زوب: " " ، وقال الفراء ...

زهب: " " ، وقال أبو تراب ...

سدب: " " ، ...

سذب: " " ، ...

سسب: " " ، وقال الدينوري: السَّيْسَبان شجر.

سطب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ضأب: " " ، وقال أبو زيد ...

طسب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

طعب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

عظب: " " ، وقال الليث ...

غدب: " " ، وقال ابن دريد ...

فرب: " " ، وفَراب مثل سحاب قرية في سفح جبل على ثمانية فراسخ من سَمَرْقَنْد[٢٤].

قثب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

قزب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

كحب: " " ، وقال ابن دريد ...

كدب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

كزب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

كشب: " " ، وقال الليث ...

كظب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

لخب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

لشب: " " ، اللولاشب الذئب.

لكب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

نطب: " " ، وقال ابن دريد ...

وبب: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

وتب: " " ، وقال ابن دريد ...

هكب: " " ، الهكب الاستهزاء.

يوب: " " ، وشعيب النبي – صلى الله عليه وسلم- ابن يوبب[٢٥].

---

(٢٤) لقد أكثر الصغاني من "المهمل" الذي أخذه على الجوهري فحشر فيه الكلم الأعجمي الدال على المدن والمواضع كما سنرى.

أرت: " " ، وقال أبو عمرو ...

أنت: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

بست: " " ، بُسْت بلد من أعمال سِجِسْتان[٢٦].

بنت: " " ، وقال ابن عمرو ...

تبت: " " ، تُبَّت أرض ينسب إليها المسك الذكي[٢٧].

تحت: " " ، نقيض فوق.

ترت: " " ، وقال أبو عمرو ...

تمت: " " ، وقال ابن دريد ...

تنت: " " ، وقال أبو عمرو ...

ثنت: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ثرت: " " ، وقال أبو عمرو ...

ثمت: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ثوث: " " ، وأبو خزيمة إبراهيم بن زيد الثاني منسوب إلى جده الثاني عشر، من العباد الزهاد[٢٨].

ثهت: " " ، وقال ابن بزرج ...

جتت: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

جرت: " " ، وجرت من قرى صنعاء في اليمن[٢٩].

---

(٢٥) ومما تكثر فيه حشوه الأسماء الأعجمية من أعلام الأناسي.

(٢٦) أليس من التزيد أن يقال: إن "بست" مما أهمله الجوهري!

(٢٧) وتبت مثل "بست" في إرادة التزيد من "المهمل".

(٢٨) ولعل من التزيد الذي يتجاوز الحد أن يؤخذ على الجوهري إهمال "ثوت" لأنها وردت في نسبة أبي خزيمة إبراهيم بن يزيد الثاني (كذا).

جفت: " " ، وفي "النوادر"[٣٠]: اجتَفَتَ المال واكتَفَتَه إذا اجتَرَفَه واستَحَبَّه أجمع.

جلت: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

حبت: " " ، وحَبْتة أم سعد بن بَحير بن معاوية[٣١].

خمت: " " ، وقال الليث ...

خنت: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

زنت: " " ، وزناته من قبائل المغرب[٣٢].

شبت: " " ، الشِّبْت البقلة المعروفة، وترد في "سبت" وفي الثاء المثلثة[٣٣].

صحت: أهمله الجوهري ، وقال الأصمعي ...

صعت: " " ،وقال ابن شُمَيْل ...

ضغت: " " ، وقال الخليل: الضغت بالفتح اللوك.

ضوت: " " ، وقال ابن دريد: ضوت موضع[٣٤].

ضهت: " " ، وقال ابن دريد ...

طلت: " " ، طالوت اسم أعجمي.

عهت: " " ، قال أبو الوازع ...[٣٥].

---

(٢٩) وهذا يضاف إلى "المهمل" المزعوم وهو اسم مدينة يبدو عليه العجمة.

(٣٠) لم نهتد أي "النوادر" أراد فلدينا جملة كتب من "النوادر" معروفة.

(٣٢) وكذلك "زناتة" البربرية!!

(٣٣) وهذا من أسماء البقول وهي من الأعجمية التي عربت، وقد مر بنا منها السداب، والسذاب.

(٣٤) مثال آخر للتزيد.

(٣٥) قالوا: كأنه مقلوب متعته.

كست: " " ، الكُسْت لغة في القُسْط.

كلت: " " ، وقال ابن فارس ...

كنت: " " ،وقال ابن الأعرابي ...

كوت: " " ، ومنه أبو عبيدة الكوتي ...

لحت: " " ، وقال ابن الفرج ...

لخت: " " ، وقال الليث ...

لوت: " " ، وقال خالد بن جَنْبَة ...

مصت: " " ، وقال الليث: المَصْت لغة في المَسْط.

مكت: " " ، وقال ابن دريد. مَكَتَ بالمكان أي أقام[٣٦].

نتت: " " ، وقال أبو تراب ...

نخت: " " ، وفي "النوادر"؟ ...

دتت: " " ، وقال أبو عمرو ...

دلت: أهمله الجوهري ، وقال أبو زيد ...

بنث: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

حبث: " " ، وقال الأصمعي ...

شحث: " " ، وقال الليث ...

شرث: " " ، وقال الليث ...

شفت: " " ، وشَفاثَى قرية من سواد العراق[٣٧].

---

(٣٦) هو من باب الإبدال، من غير شك، بين التاء والثاء.

(٣٧) ما زالت هذه القرية معروفة من أعمال حاضرة كربلاء، ولعلها آرامية التسمية.

شكث: " " ، وقال الدينوري ...

شوث: " " ، والشُّوَيْثيّ نوع من التمر[٣٨].

صبث: " " ، وقال الفراء ...

طلث: " " ، وقال ثعلب ...

طهث: " " ، وقال أبو عمرو ...

عدث: " " ، وقال ابن دريد ...

عرث: " " ، وقال ابن دريد ...

عنث: " " ، وقال الليث ...

عوث: " " ، وفي "نوادر" الأعراب يقال: عَوَّثَني فلان عن أمر كذا أي ثَبَّطَني عنه.

غنث: " " ، وقال الليث ...

قبث: " " ، وقباث بن أشيم من الصحابة.

قيث: " " ، وقال أبو عمرو ...

كحث: " " ، وقال الليث ...

كلث: " " ، وانكَلَثَ إذا تَقَدَّم.

كنث: " " ، وقال الليث: الكنثة، بالضم، والنَّوَرْدَجة تُتَّخذ من آس وأغصان خلاف تبسط وتنضد عليها الرياحين ثم تطوى، وإعرابه كُنْثُجة، والنبطية كُنثا[٣٩].

كدث: " " ، وقال النضر ...

لطث: " " ، وقال ابن دريد ...

---

(٣٨) ضرب من التمر ذكره الجاحظ المقدسي في أحسن التقاسيم، وما زال الاسم معروفاً.

(٣٩) وهذا من النماذج التي زيد فيها "المهمل".

لعث: " " ، وقال الأزهري ...

لغث: " " ، وقال أبو عمرو ...

لفث: " " ، والألفَثَ الأحمق.

لكث: " " ، وقال الفراء ...

متث: " " ، ومَتُّوث قلعة بين الأهواز وواسط.

نأث: " " ، يقال: نَأَثَ عني إذا بَعُدَ.

نغث: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

وكث: " " ، وقال الليث ...

وهث: " " ، وقال الليث ...

هلث: " " ، وقال الليث ...

يفث: " " ، ويافَث أخو سام وحام ...

أذج: " " ، وقال أبو عمر ...

أشج: " " ، وقال الليث ...

أوج: أهمه الجوهري ، الأَوْج ضد الهبوط، من اصطلاحات المنجمين(٤٠).

ببج: " " ، ومحمد بن الحسن بن علي بن نضر بن باباج من أصحاب الحديث.

بدج: " " ، وأبدوج السرج أعجمية.

بزج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

بسج: " " ، بُوسَنْج من أعمال هَراة.

بنج: " " ، وقال الأصمعي ...

---

(٤٠) و"الأوج" من المقامات البغدادية في الغناء في عصرنا، والاسم من المعربات.

تلج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ثحج: " " ، وقال الأزهري ...

ثعج: " " ، وقال الليث ...

ثفج: " " ، وقال أبو عمرو ...

ثوج: " " ، وقال ابن دريد ...

جأج: " " ، وقال ابن دريد ...

جيج: " " ، وقال الأصمعي ...

حفج: " " ، وقال ابن دريد ...

حيج: " " ، وقال الكسائي ...

خزج: " " ، وقال الليث ...

خنج: " " ، وقال الأزهري ...

دحج: " " ، وقال أبو عمرو ...

دزج: " " ، الدَّيْزَج من الخيل معرب دِيزَه.

دسج: أهمله الجوهري ، المُدَسَّج دويبة تنسج كالعنكبوت.

دنج: " " ، وقال ابن الاعرابي: الدنج العقلاء من الرجال.

دوج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ديج: " " ، داج يَديج دَيْجاً ودَيَجاناً إذا مشى.

دجج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ذحج: " " ، وقال ابن دريد: ذَحَجَه وسَحَجَه بمعنى.

دعج: " " ، وقال ابن دريد ...

ذلج: " " ، وذَلَجَ الماء في حلقه إذا جَرَعَه.

رذج: " " ، وقال شمر: الرَّيْذَجان الإبل تحمل حمولة للتجارة.

رفج: " " ، وقال الليث ...

رمج: " " ، الرامَج الملواح الذي تصاد به الطيور[٤١].

زأج: " " ، وقال شمر ...

زبج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

زرج: " " ، وقال ابن دريد ...

ستج: " " ، وقال الليث ...

سنج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

سيج: " " ، وقال الليث، يقال: سيَّجَ الحائط أي حظر كرمه بالشوك لئلا يُتَسَوَّر[٤٢].

صجج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

صوج: أهمله الجوهري ، وقال الليث ...

صهج: " " ، وقال الأصمعي ...

ضمج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

ضيج: " " ، وقال ابن الأعرابي: ضاج: مال وعدل.

طبج: " " ، وقال أبو عمرو ...

طزج: " " ، الطازَج معرب تازه.

طنج: " " ، وطَنْجَة بلد على ساح بحر المغرب.

ظجج: " " ، وقال ابن الأعرابي: ظج في الحرب صاح صياح المستغيث[٤٣].

---

(٤١) لعله من المعربات كالمالج والطازج وغير ذلك.

(٤٢) قد يكون هذا من الثلاثي غير الغريب في جمهرة هذه "النوادر" الغريبة.

عبج: " " ، وقال الأزهري ...

عذج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

عزج: " " ، وقال ابن دريد ...

فخج: " " ، وقال أبو عمرو ...

فدج: " " ، وقال أبو عمرو واللحياني ...

فنج: " " ، وقال ابن الأعرابي: الفُنُج الثقلاء من الناس.

قجج: " " ، وقال ابن الأعرابي: القَجْقَجَة لعبة لهم.

قطح: " " ، وقال أبو عمرو: القَطاج قَلْس السفينة.

قنج: " " ، وقال الأزهري ...

قوج: " " ، وأحمد بن قاج من أصحاب الحديث.

كأج: " " ، وقال ابن الأعرابي: كَأَجَ الرجل ازداد حُمْقُه.

كجج: أهمله الجوهري ، وقال الليث: الكُجَّة لعبة لهم.

كدج: " " ، وقال أبو عمرو: كَدَجَ الرجل إذا شرب كفايته.

كذج: " " ، وقال الأزهري: الكَذَج المأوى معرب كَذَه.

كمج: " " ، وقال الأزهري ...

لذج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

لوج: " " ، وقال ابن الأعرابي ...

متج: " " ، وقال أبو تراب ...

مثج: " " ، وقال الأصمعي ...

محج: " " ، وقال الليث ...

---

(٤٣) وقال الأزهري: الأصل ضج، أقول: وهذا يعني أن هذا مما ورد بالضاد والظاء.

مغج: " " ، وقال أبو عمرو: مَغَجَ إذا عدا.

مفج: " " ، وقال الفراء.

ميج: " " ، وقال ابن الأعرابي: المَيْجُ الاختلاط.

نثج: " " ، ...

نرج: " " ، النَّوْرَج سكّة المحراث وكذلك النَّيْرَج.

نزج: " " ، قال ابن الأعرابي ...

نلج: " " ، والنِّيلَج دخان الشحم.

نوج: " " ، قال ابن الأعرابي ...

وأج: " " ، الوأج الجوع الشديد.

وحج: " " ، قال شمر الوَحَج الملجأ.

ونج: " " ، الونج ضرب من الأوتار.

ويج: " " ، قال الليث: الوَيْج خشبة الفدان بلغة عمان.

يرج: " " ، اليارَج القلب والسوار، فارسي معرب ياره.

أقول: انتهى الثلاثي الذي أهمله الجوهري فاستدركه عليه الصغاني، ولو رجع الدارس إلى هذه المواد في كتاب "التكملة" لوجدها في الأغلب الأعم مؤيدة في أنها أقوال اللغويين المتقدمين، غير أنه لا يجد في هذه المواد ما يؤيدها من شاهد على نحو ما هو معروف في المواد اللغوية في كتب العربية، إنه لا يجد شيئاً منها في لغة التنزيل العزيز، ولا في حديث شريف من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم- وحديث أصحابه- رضوان الله عليهم-، ولا في مثل من أمثال العرب، ولا في قول مأثور من أقوالهم في الجاهلية والإسلام، ولا في شعر شاعر معروف، ولا في نثر الكتاب من أهل اللسن والبلاغة. وعلى هذا فهي أوابد وغرائب ونوادر، ومن يدري فلعل شيئاً منها قد ارتجله الأعراب فسمعه اللغويون منهم من دون أن يكون له استعمال بينهم.

وقد استقرت هذه المواد في الجزء الأول من "التكملة" دون أن أستبعد شيئاً منها لأشير إلى الدارس أن هذه المواد قد استبعدها الجوهري وهو عارف بحقيقتها، وأنه ربما عدها من غير "الصحيح" الذي حبس عليه "معجمه".

ولنأت الآن إلى الرباعي في هذا الجزء، ولن أذكر هذا الرباعي برمته، ولكني سأقف عليه وقفات تقصر أو تطول.

إن هذه المواد الرباعية من "النوادر" أيضاً، ولعلها أغرب من نظائرها الثلاثية التي مرت بنا. ثم إن جمهرتها تدل على دلالات حسية لا ندرك لها حداً لأننا لا نجدها في شواهد توضح الضروري من معانيها، فمن ذلك أن منها قدراً يدل على "الصلب الشديد" أحيوان هو أم إنسان أم شيء آخر، أصفة أم اسم. ومثله الطويل الرخو، أو القصير أو المتقبض! كما أن منها قدراً آخر يدل على ضرب من المشي أو العدو أو الحركة، على أننا نقف فيها على أشتات أخرى لا ندرك من حدودها شيئاً كبيراً، ومن المفيد أن نستدرك فنقول: قد نجد منها شواذ تنصرف إلى دلالة محددة. وإليك شيئاً من ذلك على سبيل التمثيل:

حفسأ: أهمله الجوهري ، وقال ابن السكيت: رجل حَفَيْسَأ إذا كان قصيراً لئيم الخِلْقة.

دربأ: " " ، ويقال: تَدَرْبأَ الشيء: تَدَهْداً.

طفشأ: " " ، وقال الأموي: الطَّفَشَأُ: الضعيف من الرجال.

طلسأ: " " ، وقال ابن بزرج: أطلَنْسَأْتُ: تحولت من منزل إلى منزل.

ججرب: " " ، وقال ابن دريد: فرس جَحْربَ وجُحارِب وهو العظيم الخَلْق.

أقول: وفي قوله: إنه "فرس" فائدة.

جرعب: " " ، وقال ابن دريد: الجَرْعَب الجافي، وجَرْعَب أيضاً من الاعلام، وجَرْعَبَ: صُرع.

جعتب: " " ، وقال ابن دريد: جُعْتُب بالضم، اسم مأخوذ من فعل ممات.

جعشب: " " ، وقال ابن دريد: الجَعْشَبُ الطويل الغليظ.

جعنب: " " ، وقال ابن دريد: الجَعْنَبُ القصير.

جنحب: " " ، وقال ابن الأعرابي: الجِنْحاب القصير المُلَزَّز.

حترب: " " ، وقال ابن دريد: الحَتْرَب على وزن جعفر: القصير، قال: وأحسبه مقلوباً من "حَبْتَر".

أقول: وليس من شك أنه مقلوب ولكنه غير مسموع في كلامهم.

حطرب: " " ، وقال ابن دريد: الحَطْرَبة: الضِّيق.

حظلب: " " ، وقال ابن دريد: الحَظْلَبَة: السرعة في العدو.

حظرب: " " ، والمُحَظْرب الضَّيِّق الخُلُق!

حنجب: " " ، وقال ابن دريد، الحُنْجُب: اليابس من كل شيء.

خدرب: " " ، وقال ابن دريد: خَدْرَب اسم على جعفر!

خذعرب: " " ، وهو من الخماسي، قال ابن دريد: اسم زعموا، ولا أدري ما صحته!

خزرب: " " ، وقال ابن دريد: الخَزْرَبَة اختلاط الكلام وخطله.

أقول: وهذا معنى نجد فيه الخَطْلَبَهُ والهَذْرَمَةُ والهَذْرَبَة.

خضعب: " " ، وقال ابن دريد: الخَضْعَبة: الضعف.

وقال غيره: الخَضْعَبَة: المرأة السمينة.

أقول: ألا يؤذن هذا أن نقول إن هذه الدلالات تفتقر إلى شيء يقويها؟

دحقب: " " ، وقال ابن دريد: دَحْقَبَه إذا دفعه من ورائه دفعاً عنيفاً.

دعرب: " " ، وقال ابن دريد: الدَّعْرَبَة: العَرامة.

أقول: وما زال شيء من هذا في العامية الجنوبية

في العراق، يقال: فلان مُعَذْرَب، بالذال، أي شِرِّير.

زلدب: " " ، وقال ابن دريد: زَلْدَبْتُ اللُّقمةَ إذا ابتلعتُها، وليس بثبت!

زلهب: " " ، وقال ابن دريد: زَلْهَب – زعموا-: خفيف اللحية، ولا أَحُقُّه.

سحتب: " " ، وقال ابن دريد: سَحْتَب، هو الجريء المقدم.

سرندب: " " ، من الخماسي، ومنه سَرَنْديب بلد بناحية الهند معروف.

سنطب: " " ، وقال ابن دريد: السَنْطَبَةُ طول مضطرب.

شخزب: " " ، وقال ابن دريد: الشَّخْزَب والشُّخازِب.

الغليظ الشديد.

صرخب: " " ، وقال ابن دريد: الصَّرْخَبَةُ والصَّرْبَخَةُ: الخفة والنزق.

طرعب: " " ، وقال ابن دريد: الطَّرْعَب: الطويل القبيح الطويل.

طعسب: " " ، وقال ابن دريد: الطَّعْسَبَة: عدوٌ في تعسف.

عرزب: " " ، وقال ابن دريد: العَرْزَب: الصلب الشديد.

قصلب: " " ، القُصْلُب: الشديد الصلب.

كرشب: " " ، وقال ابن دريد: الكِرْشَبُّ والقِرْشَبُّ واحد وهو المسن.

هزرب: " " ، وقال ابن دريد: الهَزْرَبَةُ الخفة والسرعة.

دلمث: " " ، وقال ابن دريد: الدَّلْمَثُ والدُّلامِث: السريع.

دهكث: " " ، وقال ابن دريد: الدَّهْكَث: القصير.

كنبث: " " ، وقال ابن دريد: الكُنْبُثُ والكُنابِثُ: المنقبض البخيل.

ثخبج: " " ، والمُثَخْبِجُ: الرهل اللحم.

عدرج: " " ، وقال ابن دريد: عَدَرَّج: هو الخفيف السريع.

لمهج: " " ، وقال الفراء: يقال لبن سَمْهَج لَمْهَج إذا كان حلواً دسماً.

هردج: " " ، وقال ابن دريد: الهَرْدَجَة: سرعة المشي.

أقول: كنت قد وقفت على المواد الثلاثية واستقريت جملة ما ورد فيها في الجزء الأول من كتاب "التكملة ..."، وذلك لأشير إلى أن تلك المواد عامة تدخل في باب "الغريب". وهي من "النوادر". غير أني عمدت إلى اختيار مواد معينة من المواد الرباعية، تلك التي انصرفت إلى دلالات معينة أشرت إليها قبل ذكر المواد، وذلك لأدل على أن هذه الطائفة من المواد تفتقر إلى ما يثبت ورودها في العربية، فليس من شاهد يدل على صحتها وصوابها، بل هي مجرد أقوال. ومن المفيد أن نلحظ أن أغلب ما أتيت على إثباته كان من أقوال ابن دريد، وهذا يذكر بما قيل عن "مناكير" هذا العالم اللغوي. على أن في الكلمات الرباعية من المواد المفيدة المؤيدة بما يصح من الشواهد، ومع كل هذا فقد أهملها الجوهري(٤٤).

خاتمة:

هذا ما بدا لي أن أقول في معجم "الصحاح وتاج العربية" وما كان له من أثر في الدراسات اللغوية القديمة، ذلك أن هذا المصدر قد حفز غير واحد إلى أن يكتب فيه على نحو ما كما أشرنا إلى ذلك، فكان من ذلك ثمرات يانعات أعانت على درس المعجم القديم، كما قدمت فوائد سنية لمن يتصدى لتاريخ هذه اللغة الكريمة.

---

(٤٤) أستطيع أن أقول: إن استقرائي للجزء الأول من كتاب "التكملة ..." يصح أن يدفعني إلى القول إلى أن ما في الأجزاء الأخرى من غريب الثلاثي الذي أهمله الجوهري وغريب الرباعي الذي عمدت أن يكون من صفة خاصة غير بعيد عن الجزء الأول من حيث كون المواد الثلاثية "المهملة" غريبة من "النوادر"، وأن ما فيها من الرباعي "المهمل" مشتمل على ما أردت من صفات تحققت في استقرائي للجزء الأول.

ذيول وملَاحظات (٢)

للمهندس حاتم غنيم

مقدمة:

هأنذا أعود فأجمع أشتاتاً من الملاحظات التي علّقتها على هوامشِ أبحاثٍ نشرت في أعداد مجلة المجمع، متوخّياً أن أنتقي منها ما أظنه ذا أهميةٍ مبعثها أنّه يصحّح وهماً لا يحسن السكوت عنه، أو يثير نقاشاً ذا جدوى، أو يضيف فائدة أو توسعاً في شرح. واللغة العربيّة واسعةٌ عريضة، تشمل لهجاتِ قبائل عدّة، وما يجيء في إحداها على وجهٍ قد يجيء في أخرى على غير ذلك، ولكي يستطيع باحث أن يجزم بعدم جواز استعمالٍ لغويّ ما عليه أن يكون ملمّاً بمعظم ما جاء في كتب اللغة متعلّقاً بهذا الاستعمال، وهو أمر شاقّ يكاد يكون مستحيلاً. لذلك فلن أنبّه إلاّ على ما كان وهماً شائعاً يجب التنبيه عليه، أو انتصاراً لاستعمالٍ لغوي صائبٍ أُتُّهِمَ بالخطأ.

وسأتناول في عرضي هذا البحوث التي نشرت في العدد المزدوج السابع والثامن من مجلّة المجمع، والتعليقاتِ التي عرضت لها في أعداد المجلّة الأخرى، إذ إنني أعتبرها جزءاً مكمّلاً للبحوث لا يجوز غضُّ النظر عنها، ولا تَصحُّ مناقشتها منفصلة عن البحث الأصل.

صناعة المعاجم والجدول الهجائي الكامل:

للأستاذ نجيب إسكندر، وتعليقات الأستاذ محمد شيت صالح الحياوي

بعد أن ذكر الباحث أنّ إثبات المزيد والمشتقّ تحت أئلة المجرد[1] في ترتيب المعجم العربي لم يثر الاشتباه في صلوح الجدول الهجائيّ العربيّ المستعمَل، عاد فأشار إلى أنّ الاتجاهَ إلى ترتيب المعجم ترتيباً لفظياً تُدْرَجُ فيه المفردات حسب حروفها يوجب إكمال هذا الجدول وضبطه، ومن ثم بنى بحثه الذي حاول فيه إثبات قصور الجدول الهجائيّ المعتمد.

أقول: نحن نخالف الباحث في صلاح طريقة إدراج المفردات في المعجمات العربية حسب حروفها. ونرى أنّ طريقةَ اعتماد الجذر أساساً لإدراج المفردات

---

(١) لم تثبت المعجمات المزيد والمشتق تحت أئلة المجرد بل تحت أئلة الجذر الذي هو الأصل، فالفعل (قال)، وهو من المجرد، أدرج في المعجمات تحت الجذر (قول).

تحته، على ما فيها من هنات قد تسببّ عنتاً للشداة، هي الطريقة الصالحة لجمع اللغة العربية جمعاً معجمياً، وذلك لأسباب ثلاثة:

أولهما: إن الاشتقاق الذي يميز اللغة العربية عن غيرها يجعلها أوسع اللغات. ولو ضربنا مثلاً لذلك الجذر (فعل) لوجدنا أن الصور المشتقّة منه تبلغ المئات، من مزيداتٍ كأفعل وفاعل واستفعل وفعّل وتفاعل وانفعل وتفعّل، ومن مصادرَ وصيغٍ كاسم الفاعل والمفعول والمرّة والهيئة والأداة وصيغ المبالغة والتفضيل، والجموع لهذه كلّها، كذلك أشكال الأفعال من ماضٍ ومضارعٍ وأمر، وما إلى ذلك ...

ولو نظرنا إلى عددِ الموادّ التي ذكَرَتها المعجماتُ العربية، وهذه لم تَجْمَعْ كاملَ جذور اللغة، لرأينا أنها تتجاوز مائة وعشرين ألفاً أي أن صُوَرَ كَلِمِ اللغة العربية قد تبلغ الملايين، أضف إلى تغير الصور التي يتشكل بها كثير من هذه المفردات عند اتصالها ببعض اللّواصق، مثل قالت وقُلْتُ، ويقول ويقُلْنَ، ممّا يعني ضرورة إدخال الكلمة تحت صورٍ مختلفة في المعجم، كلّ هذا يعني أننا لو أردنا اعتماد ترتيب المعجم ترتيباً لفظيّاً لَكَبُر المعجم كثيراً وأصبح غير عمليّ، يكثر فيه التكرار دونما فائدة. وهذا يدعونا إلى اعتمادِ طريقةِ الجذر في معجماتنا، إذ إنّ هذه الطريقةَ ثبت صلاحها، وأُعْتُمِدتْ فيما سلف من المعجمات.

وثانياً: إن حركاتِ الكلمة الواحدة تتغيّر حسب مكانِها من الإعراب وحسب ما يتبعها من اللواصق، وهذا يعني اختلافَ صورة الكلمة الواحدة عند الاستعاضةِ عن الحركات بحروفٍ كما يقترح الأستاذ الباحث.

وثالثها: إن قليلاً من الباحثين القدامى قاموا بدراساتٍ طريفة قيّمةٍ عن المعاني المشتركة التي قد يفيدها تَجَمُّع حروفٍ معيّنة، ولعلّ إثباتِ المفرداتِ ضمن الجذور قد يساعد على استكمال مثل هذه البحوث.

هذه هي ملاحظاتنا على البحث بشكله العامّ. ونحن متى اتفقنا على ضرورة إدراج المفردات العربيّة في المعجم تحت صيغة الجذر، يفقد البحث الجزءَ الأكبرَ من قيمته وجدواه، ولا يبقى من ضرورةٍ لمراجعتِهِ والتعليق عليه.

غير أن البحث ورد في ثناياه أشياء تلفت الانتباه وتستوجب التعليقَ عليها، منها استعمال الأستاذ الباحث كلمة "الإملاء" في أكثرَ من موضع، لتفيد معنى رسم الكلمات في الكتابة، وهذا خطأ شائع الاستعمال. فالإملاء هو تلاوة الكلام على الكاتب، وقد يكون المملي سويَّ الإملاء لكنّه لا يعرف الكتابة.

ومنها ما جاء (ص٣٤) من أن الفتحة في الفعل الماضي "ليست سوى نوع من ضميرٍ بارزٍ متّصل تدخل على الفعل المطلق لتخصّصَه للغائب المفرد، كما تدل عليه الفتحة الطويلة (الألف) لتخصصه للغائب المثنّى". وهذا رأي فيه نظر،

إذ لو كان ذلك كذلك لما جاز تسكينُ آخر الفعل عند الوقف، إذ إن حذف الحركة يعني حذف ضمير متّصِلٍ بارز عند الوقف وإثباته عند الدرج، وهذا لا يجوز إلاّ إذا ناب عن الضمير المحذوف حرف آخر، وليس الأمر كذلك في هذه الحالة.

ومنها ما يقوله الباحث (نفس الصفحة) من أن التنوين ليس سوى أداة تنكير. وأرى نفسي مضطرّاً إلى مخالفته مرّة أخرى، فلو صحّ ذلك لكان كلُّ علمٍ غير ممنوعٍ من الصرف نكرة، ولما جاز لنا أن نقول: جاءَ زيدٌ الكريم. ويا ليت باحثينا عندما يُعطون حكماً ما يبذلون بعضاً من جهد في دراسة هذا الحكم قبل إصداره، فربّ عَجَلةٍ تَهَب ريثاً.

ويقول الباحث (ص ٣٤- ٣٥) عن إثبات ألف تنوين الفتح في الكتابة: إنّ هذا الحرف لا قيمة (إملائية) له، وما كان القصد منه سوى التعويض عن علامة التنوين!! وفات الأستاذَ الباحثَ أنّ قواعدَ الكتابةِ العربية تنظر إلى الكلمة عند الدرج والوقف، فَتُكْتَبُ التاءُ المربوطة على شكل الهاء في آخر الكلمة لأنها تقلب هاء عند الوقف، فإذا لحقت الكلمة إحدى اللواصق كتبت كأي تاء أخرى لعدم الوقف عليها. كذلك فالألف ليست تعويضاً من تنوين الفتح، إذ لو كانت كذلك لوجب التزامُ هذا الأمر في تنوين الضمّ والكسر، والتعويضُ منها بواوٍ وياء. لكن السبب في إثبات الألف في تنوين الفتح هو أن هذا التنوين يُسْتَبْدلُ ألفاً عند الوقف، لهذا وجب إثباتهُ ألفاً، وهذا هو سبب الاستغناء عنها في الأسماء المقصورة والمنتهية بتاء التأنيث.

ويعزو الأستاذ إهمالَ رسمِ الحركة في الكلمة على شكل حرف خاصّ إلى قصور الأقدمين عن إدراكِ إمكانيّةِ الرمزِ إلى الحركة بشكل خاصٍّ بها (ص ٣٦). لكنّ اللغة العربيّة تختلف عن اللغات اللاتينيّة في أنّ الحركات قد تتغيّر في الكلمة الواحدة، تبعاً لموقعها من الإعراب أو الإضافة أو الوقف. فكلمة (رجل) مثلاً لها من الصور: تنوينُ لامِها نصباً ورفعاً وجراً، والحركاتُ الثلاثُ بدونِ تنوينٍ عند الإضافة، ودونَ علامةٍ عندَ الوقف في جميع أحوالها ما عدا النصب مع التنوين حيث تثبت الألف. فهذه تسعُ صُوَرٍ لكلمةٍ واحدة. أضف إلى ذلك كثرةَ الكلماتِ التي تجوزُ في حُروفِها الحركاتُ المختلفة. فكلمة (إصبع) مثلاً تجوزُ في حروفها أشكالٌ متعدّدة من الحركات، فهل سنرسمها على عدّةِ أشكالٍ أو صُوَر؟؟

ويقول الأستاذ (ص٣٧): إنّ الألِفَ في متى وإذا هي حركة قصيرة، "ولمّا لم تكن قد وجدت بعدُ طريقةٌ لإظهارِ الحركةِ القصيرة ضُبِطَتْ هذهِ الكلماتُ بالفتحِ الطويل". وقد علّق الأستاذُ الحياوي على هذا القولِ في مراجعاته المنشورةِ في عدد مجلة مجمع اللغة العربيّة المزدوج (١١- ١٢) ص ١٤٨. وأزيد هنا على تعليقه أنّه

لو صح ما قاله الأستاذ إسكندر لوجب رسمُ كلماتٍ أخرى مثل "هو" و"أنت" بالألف. فما مبرر إثباتها هناك وإهمالها هنا؟

وذكر الأستاذ الباحث (ص ٣٨) أنّ الفرقَ بين الحركاتِ الطويلة والقصيرة كميٌّ لا كيفيّ. وأقول إنّ الفرق كميٌّ كيفيّ. فالملاحظ أنّ الحركة القصيرة كثيرةُ التغيُّرِ بالإعراب وغيره، وعندَ تغيُّرِها لا تترك مكانها ما يدلُّ عليها، بعكس حرفِ المدّ الذي لا يتغيرُ في الكلمة الواحدةِ عادةً، وعند تغيُّره يتركُ ما يدلُّ عليه، هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى لو كانت حروفُ المدِّ حركاتٍ لَما قَبِلَتْ دُخولَ حركاتٍ أخرى عليها، وَلَما جاز لنا أن نقول: جاء القاضي ورأيتُ القاضِيَ في مجلسه.

وينتقل الباحث إلى التحدُّثِ عن رسم الهمزة، مشيراً إلى أنّ شكلَها المتبدِّلَ خارجٌ عن أصول الرسم وعائدٌ إلى اعتباراتٍ صرفيّة (ص٤٢) مع أنّ الشكلَ المتبدِّلَ للهمزةِ اتَّبَعَ في البداءة صورةَ الكلمة عند تسهيل الهمزة، كما تقتضي أصول الرسم، ومن ثم اشتقَّتْ قواعدُ الحركةِ الأقوى، ولا علاقةَ للاعتباراتِ الصرفيَّةِ بذلك.

ولا أريد أن أتطرَّقَ إلى ما جاء في المقالِ عن أسباب عدم إدراج الألِفِ في الجدول الهجائيّ (ص٤٣)، فقد ناقض المؤلف نفسه ورجع فذكر أنها أُدرِجَتْ ملتصقةً باللام مع أخواتِها الواو والياء، وإنما ألصقوها باللام ليميّزوها عن الهمزة، وهو أمرٌ ضروريّ للألِفِ وغيرُ ضروريّ للواو والياء لإمْكانِ تحريكِ الحرفَيْنِ الأخيرَيْنِ والابتداءِ بهما. وأضيف أنّ عدمَ إدراجِ الألِفِ ضمنَ حروفِ المعجمات العربية سببه أنّها لا تأتي ضِمْنَ الكلمة إلا زائدةً أو منقلبةً عن واو أو ياء.

ثم ينهي الأستاذ بحثَه باقتراحِ جدولٍ هجائيٍّ معدَّل، فاتّه فيه إدراجُ أشكالٍ كثيرةٍ، منها همزةُ الوصلِ في وسط الكلمة، والتنوين. ولستُ بِصَدَدِ تناولِ الجدولِ بالانتقاد، ولكنّني لا أَجِدُ مبرراً لاختراع شكلٍ جديدٍ لأداة التعريف، فهي مكوَّنَةٌ من همزَةِ وصلٍ ولام، فإنْ كنّا على استعدادٍ لتَقَبُّلِ اختلافِ اللفظ بها، عندَ استعمال الشكل الجديد لها، باختلافِ الحروفِ الشمسيّة والقمريّة التي تتلوها، فلماذا نأبى على أنفُسِنا قبولَ ذلك عند استعمال شكلها القديم؟

إنني لَمْ أَسْتَوْفِ فيما ذكرتُ آنفاً جميعَ ملاحظاتي على هذا البحث، إلا أنني اقتصرت على ما اعتقدته ذا أهميّة، ومع ذلك جاء تعليقي طويلاً، فلعلّه يكون ذا فائدة. وأرى لزاماً عليّ قبل إنهائه أن أتطرق إلى المراجعة التي قام بها الأستاذ محمد شيت صالح الحياوي لهذا البحث[٢]، وأنا لا شكَّ أتّفِقُ معه في جُلِّ ما كتب،

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد المزدوج (١١– ١٢) ص ١٤٨.

لكنني أستميحه العذرَ في أن أخالِفَه في القليل الذي سأذكره تالياً، شاكراً له ما ذكر عن الكتابة المتّصلة والمنفصلة (ص ١٥٠-١٥١) فقد أصاب وأفاد.

قال الأستاذ الحياوي مخطئاً الاستعمال: يُسمّى بالألِف ... إلخ. مؤكِّداً أنّ الصحيحَ ما جاء في الآية: (وإنّي سَمَّيْتُها مَرْيَم)، ولعمري لقد أصاب في استجادته حذفَ الباء، فقد جاءت كذلك في التنزيل مرّات، لكنّ صوابَ استعمالٍ لا يفيد خطأ استعمالٍ مخالف.

قال الجوهريّ في الصحاح (سما): "سميّت فلاناً زيداً وسميّته بزيدٍ بمعنى"، بل إنّ لسان العرب (سما) ذكر أنّ سيبويه يرى أنّ الأصل الباء لأنه كقولك: عرفته بهذه العلامة وأوضحته بها. وقد جاء الفعل في الشعر متعدّياً بالباء، قال الشاعر (أميّة بن أبي الصلت):

وَسَمّيْتَني باسْمِ المُفَنَّدِ رَأْيُهُ وفي رَأْيِكَ التَّفْنيدُ لَوْ كُنْتَ تَعْقِلُ

ويقترح الأستاذ المعلّق (ص١٤٩) تسمِيَةَ الحركات "لواصق"، ثمّ يكتشف أن أنّ هذهِ التسمية أُطْلِقَتْ على حروفٍ أخرى، فيقول: إنَّ اصطلاحه هو الأصحّ فلا داعيَ لتركِهِ أو إبداله، وإنّ الاصطلاح الآخرَ هو الذي يحتاج إلى تبديل. ويقترح لذلك "الذوانب" بديلاً يفي بالمرام كاملاً كما يقول، لأنّ "اللواصق" في الاصطلاح المستعمل يُراد بها اللواحق ليس غير.

أقول: ما للأستاذِ ومحاولة وضعِ اصطلاح جديدٍ يطلقه على الحركات، و"الحركة" تسميةٌ جيّدة ونحن في غِنًى عن أن نستبدلَ بها تسميةً قد تقود إلى إشكال، وما أرى استعمالَ "اللواصق" في هذا الموضِع إلاّ مؤدّياً إلى ما نخشاه من ذلك، لسببين: أوّلُهما أنّه سبق أن جرى إطلاقُ هذا الاصطلاح على أشياء مغايرةٍ فلصق بها، ممّا سيدفعنا إلى إجراء تبديلٍ في الاصطلاح حيثما وُجِدَ في كتب العربيّة، وهو أمرٌ قد ندعو إلى تَجَنُّبِهِ في حالِ اقتناعِنا بصوابه، فكيف والأمر على خلافِ ذلك. وثاني الأسباب أنّنا نعتقدُ أنّ "اللواصق" أنسب لما وُضِعَتْ له سابقاً

منها للحركات، ويعترض الأستاذ الحياوي على استعمالها لأنها إنما تأتي في آخر الكلمة. لكنّ من اللواصق ما يأتي في أوّلِ الكلمة مثل هاء (هؤلاء) و(هذا)، وذلك يعني أنّ اصطلاحَ "الذوانب" لا يُناسب ما وُضِعَ اصطلاحُ "اللواصق" له. هذا من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى نحن نرى أنّ اصطلاحَ "الحركات" أصحُّ في الاستعمالِ من اصطلاحِ "اللواصق"، وذلك لأنّ الأخيرَ يوحي أنّ الحركات ليست من أصلِ الكلمة بل أُلْصِقَتْ بها، وهذا جدُّ صحيحٍ بالنسبةِ لحركاتِ الإعراب، أمّا بقيةُ الحركاتِ فهي من أَصْلِ الكلمة يختَلِفُ معناها باختلافها[٣]، ولا نستطيعُ تغييرَها إلاّ بمبرّر، شأنها في ذلك شأن الحروف صامتةً أم مصوّتة. لكلّ ذلك أُخالف الأستاذ في محاولةِ إطلاق اسمٍ جديدٍ على الحركات، وأرى أنّنا بمندوحةٍ عن ذلك.

يبقى بعد ذلك هناتٌ صغيرةٌ ما كنتُ ذاكِرَها لولا أنّ بعضَها يُخطِّئُ صحيحاً، وبَعْضَها قد يقودُ إلى وهم، منها اعتراضُه على قول الأستاذ إسكندر (حروف عادّية) وتصحيحه لها بـ(أحرف اعتياديّة) (ص ١٥٠) والكلمتان صحيحتان، وانظر ما جاء في معجم الأخطاء الشائعة[٤] (ص٦٤) عن السعد التفتازاني والصبّان من أن جمع الكثرة يشمل العدد من ثلاثةٍ إلى ما لا نهاية. كما أنّ النسبة إلى عادة (عاديّ)، وقد أَشار إلى ذلك الأستاذ إبراهيم السامرّائي في مقاله "لو أخذ القوسَ غيرُ باريها"[٥]. ثمّ يَذْكُرُ شيئاً عن الحروف المنفصلة في مجرى حديثِهِ عن

---

(٣) ألف علماء اللغة عدة كتب في (المثلثات)، وهي كلمات تتعاقب على حرف منها الحركات الثلاث فيتغير معناها تبعاً لذلك.

(٤) لمحمد العدناني – نشر مكتبة لبنان– بيروت سنة ١٩٧٣.

(٥) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٧–٨).

طبعة "مختار الصَّحاح" (ص ١٥٢)، ولم يكتبْ في هذه الطبعةِ بحروف منفصلةٍ سوى الجُذور، وذلك لإعطاء الانطباع بأن الجذرَ يشمل كُلَّ الكلماتِ المركّبَةِ من هذه الحروف. فالجذر (فعل) مثلاً ينضوي تحتَه كلُّ ما يَتَرَكَّبُ من حروف الفاء والعين واللام على هذا الترتيب. فلو كُتِبَ في أولِ المادّة المعجميّة متّصلاً به لأدّى إلى إيهامِ قليلٍ من المطالعين أنّ المادّةَ تتعلَّقُ بالفعل (فعل) فقط. ولكنّنا عندما نكتُبُه بحروفٍ منفصلة (ف ع ل) نزيل هذا الإبهام. وهذا أمرٌ قليلُ الأهمّيّة ما كان من داعٍ للمؤلفِ أن يذكُرَهُ ولا للمعلِّقِ أن يناقِشَه.

ويقول الأستاذ الحياوي (ص١٥٤): "إن كتابةَ المدَّةِ أو رسمَها واحدٌ في الكتابَةِ اليدويّةِ والكتابة المطبعيّةِ أينما وُجِدَتْ .."، وأنا أُؤَيِّدُ ما ارتآهُ من الاستعاضة عن حرفي الهمزةِ والألِفِ بالألِفِ وإشارة المدّة، لكنّني أخالفُه في التعميم الذي ذكر، فالمَدَّة في رسم المصاحف تكتب حرفين.

لو أخذ القوس غير باريها:

للأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، وتعليقات الأستاذ محمد شيت صالح الحياوي

ما زال الأستاذ السامرائي يمتعنا بين الحين والحين بمقال يزخر بالفائدة، وأنا أتلقف ما يكتبه فأطالعه وأعلق على حواشيه تعليق مستفيدٍ لا تعليق منتقد. وعندما قرأت موضوعه هذا ذكرت أنّه كان تناول شيئاً مِمّا جاء فيه في بحوث أخرى له، فَرْحتُ أقلِّبُ أوراقي إلى أن وقعتُ على ما نَشَرَ في مجلة المورد[٦] عن ديوان الأدب للفارابي، إذ رأيتُهُ هناك يعيب على محقِّقِ الكتابِ قولَه: "لأمكن التعرّف عليه"، وقوله:"كان كفيلاً بالقضاء على هذه الفوضى الداخليّة". ثم رأيتُه هنا يعود

(٦) المجلد التاسع- العدد الأول- ص ٤١٥.

فيقبل الاستعمالَ الأول (ص٥٥)، ثم يقترح استعمال "فوضى" عِوَضاً عن "تشويش" (ص٦٢)، أو كان هذا ما رجَّحْتُ أنّه يقصده. وأقول هنا صراحةً إنني أحترم من يرجع عن رأي حين يرى مجانَبَتَه للصّواب، وقَلّ من يتحلّى بهذه الصفة، ولكنّني كم تمنّيتُ لو أشار الأستاذ إلى موقفه السابق وإلى عُدولِهِ عنه، حتى يزولَ الالتباسُ ويتّضِحَ موقفُه من المسألة.

وجاء في البحث :"ص ٥٥": "ويقولون: تخرَّجَ على فلان ... وتخرّج فلان في الكليّة الفلانية، وليس تخرّج من الكلية ..."، ثم يقول:

"والذي وَقَفْتُ عليه في كُتُبِ الرّجالِ أنّي قرأتُ كثيراً: وتخرّج به جمهرةٌ من العلماء ..".

"ولا ضَيْر، هذا لا يمنع أن يُقال : "تخرّجَ به – أو عليه- جمهرةٌ من العلماءِ. من الأزهر ..".

كما جاء في البحث (ص ٦٣): "ومِثْلُ هذا استعمالهم (إذ) وهو ظرفٌ للزمانِ الماضي استعمالَ إذا الشرطية، فيقولون: (وإذ لم يتهيّأْ لي العمل في بغداد فقد غادرتها إلى ...)، والصواب إذا ..."، لكنّني أرى التعليلَ أحدُ وجوهِ استعمالاتِ (إذ)، جاء ذلك في (مغني اللّبيب)[٧] وَساقَ ابن هشام عِدَّةَ أمثلةٍ أقربها مما مرّ في البحث قوله تعالى: "وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولونَ هذا إفْكٌ قَدِيم"، فذاك مِنْ هذا ... وللأستاذ الكبير جزيل تعظيمي واحترامي.

(٧) لابن هشام – تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد– الجزء الأول ص ٨٢.

وقد قام الأستاذ محمد شيت صالح الحياوي بمراجعةِ هذا البحث[٨]، فجاء بأمورٍ أرى من الأفضل أن أعلّقَ عليها هنا، فأقول: مسألة الملاعِق الثلاث (ص ١٥٦) طريفة، لكنّها إلى علمِ المنطقِ أقرب، فلا دليلَ من اللغةِ استَشْهَدَ به، بل ما كَلَّفَ نفسه الرجوعَ إلى شواهدِ الأستاذِ البصّام التي ذكرَ الأستاذ السامرّائي أنّه جاء بها مُثْبِتاً جوازَ استعمال "السّكك الحديديّة". وما أرى قول الفرزدق[٩] :

لَبِسْنَ الفَرِيدَ الخسْروانِيَّ تَحْتَهُ مَشاعِرَ، خَزِّيُّ العِراقِ المُفَوَّتُ

يَحْتَمِلُ مسألةَ مَشاعِرَ ثلاثة.

ويقولُ الأستاذ الحياوي (ص١٥٧): "لأنّ العربيّة واسطة للتفاهم". والواسطة في اللغة الجوهرة الكبرى وسط العقد. ولعل الأصوَبَ أن يُقال: "وساطة".

وتناول الأستاذُ رأي ابنِ الانباريّ القائل بعامّيّةِ كِلمَةِ "التشويش"، وخَطّأهُ وصوَّب الجوهريَّ الذي قال بفصاحتها (ص ١٥٩- ١٦٠)، ثُمّ أشار إلى ضرورة قبول استعمالها وذلك لما يلي:

١- حاجتنا إلى الكلمة، فالفوضى والتشويش ليستا متقابلتين.

٢- استعمال لفظ فوضى مقتصر على الجمع ومفرده متروك، على العكس من لفظ التشويش الذي يقبل الاشتقاق.

٣- جريان الكلمة على الألسنة في العصر الحاضر.

وفي هذا المعرض يتساءل الأستاذ عن أصل هذه الكلمة الجارية، ويتّخِذُ ذلك دليلاً على فصاحة الكلمة.

أقول: اعتاد الأستاذ أن يَصِمَ عُلماءَ اللغة العربيّة القدامى بالوهم، وهم من هم، معتمداً على اجتهاده الخاصّ، دونَ دليلٍ تقبلُه اللغةُ وأصولُها وقواعِدُها. ونحن ندافع هنا عن ابن الانباريّ، وعن غيرهِ من عُلماء العربيّة الذين شاركوه في قوله ذلك، كالأزهريّ (تهذيب اللغة – وشى- ج١١ ص ٤٤٥) والصّغانيّ (التكملة والذيل والصلة- ش ي ش -) والحريريّ (درّة الغوّاص في أوهام الخواص- طبعة

---

(٨) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد المزدوج (١١-١٢) ص ١٥٦- ١٦٠.

(٩) البيت في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي – تحقيق علي محمد البجاوي- ص ٨٩٦. والمشاعر هنا هي الثياب التي تلي البدن.

ليبزيج ص ٧٣) والفيروزباديّ (القاموس المحيط – شاش-) وغيرهم كثير، وكلُّهم قال بِوَهْمِ الجوهريّ، على اعتبار أنّ التشويشّ كلمةٌ عامّيّةٌ أصلُها التهويش. وهكذا تصبح النقاطُ الثلاثُ التي اعتمدَها الأستاذ الحياوي غيرَ ذاتِ موضوعٍ عند اعتبار الأصْل المذكور، فهو ينوبُ عن (الفوضى)، وليس مقابلاً لها، وهو غيرُ مقتصرٍ على الجمع، وهو يُظْهِرُ أصْلَ كلمةِ التشويش المستعملة.

وأقدِّم للأستاذين الكبيرين من الاحترام والإعجاب ما يليق بقدرهما، قيّض الله لهما من الخير ما هما له أهل، لما يبذلان من جهد في خدمة لغتنا الشريفة.

موقف من يونس بن حبيب:

للأستاذ الدكتور محمود حسني محمود

بحث ممتع لكنّه لم يسلمْ من هَفَواتٍ وفلتاتٍ قلّما يخلو منها بحث أو مقالة، بعضُها قد يعود إلى الطباعة، وهذه لن أعرض إلاّ لِما لا يجوز السكوتُ عنه منها، مثل ما يغيّر اسماً أو يوهِمُ أمراً مخالفاً للوجه المقصود. أذكر من الأخطاء ما جاء في أرقامِ صفحات الإحالات، والوَهْمُ فيها كثير. من ذلك أنّ الباحثَ أحال على الفهرست ستَّ مراتٍ، يشيرُ فيها كلِّها إلى أنّ رقم الصفحة (٧٩) وهو (٦٩). كما جاء شيءٌ من الإحالات على "طبقات النحويين واللغويين" سليماً، وجاء شيءٌ خاطئاً، نذكر منها الحاشية رقم (١٣٩)، حيث أحال على ص ٢٨ بدلاً من ص ٤٣، والحاشية رقم (١٥٦) أحال فيها على ص ١٧٧ بدلاً من ١٢٧، وغير ذلك من الإحالات التي لن أتقصّاها هنا.

ومِنْ أخطاءِ الطّباعة ما جاء في ص ١٣٩ عن عيسى بنِ عمر وأبي عمرو بن العلاء، فقد حوى الخبرُ ثلاثةَ أخطاءٍ هي: "فقال له: يا أبا عمر: ما شيء..."، والصواب "أبا عمرو"، و"نمت يا أبا عمرو وأولج الناس"، والصواب: "نمت يا أبا عُمَرَ وأدلج الناس".. وغيرها كثير يمكن عزو جُلِّها إلى الطباعة.

يقول الباحث (ص١١٨): "أمّا صاحبُ معجم الأُدباء فقد رأى أنّه ضَبّيٌّ نسباً صريحاً، ولكنّه عاد وروى أنّه مولى بني اللَّيْث ..."، وما أصاب، فإنّ قولَ ياقوت كان: "أبو عبدالرحمن الضّبّيّ- وقيل الليثيّ- بالولاء"، فالولاء تعود على الضبّيّ والليثيّ كليهما، ولا تنفرد بالليثيّ.

وينقل الباحث (ص١٢٠) عن الفهرست وإنباه الرواة: "إلى أن (تفرّغ من الكبر) ..."، وهذا وَهْمٌ جَرَّهُ ما جاء في الكِتابَيْن عن ثعلب، فإن (تفرّغ) هنا لا معنى لها، بل هي تصحيف لـ(تَفَدّع) بالدال والعين المهملتين، كذلك جاءت في "طبقات النحويين واللغويين"[١٠].

ويورد الباحث (ص١٢٠) بيتَيْنِ من الشعر على أنّهما من قول يونس بن حبيب، نقلاً عن "شذرات الذهب". وما جاء في "الشذرات" و"وفيات الأعيان"[١١] لا يوحي ألا أنهما من إنشاده، وما رأيت مرجعاً يذكر أنّه نظم شعراً، بل إنّ "وفيات الأعيان"[١٢] يروي عنه أنّه "لو تمنّى أنْ يقولَ الشِّعْرَ لتمنّى أن يقولَ مثل قول عديّ بن زيد ...".

وينقل الباحث (ص١٢٦) عن "طبقات النحويّين واللغويّين" رأيَ يونس في ابن أبي إسحاق، فيجيء بكلامٍ لا يستقيم، هو: "قال: فأينَ علمه من علم الناس اليوم؟ (قال): لو لم يكن في الناس اليومَ أحد لا يعلم إلاّ علمه لضحك منه، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر نظره لكان أعلم الناس"، وسقط من النص ما جاء بين القوسَيْن.

---

(١٠) ص ٥٣، والفدع: عوج وميل في المفاصل خلقة أو داء.

(١١) لابن خلكان، تحقيق الدكتور إحسان عباس، طبعة دار صادر، ص ٢٤٦.

(١٢) ص ٢٤٥.

وتصحيحُ هذا القول ما جاء في "طبقات الشعراء"[١٣]: "قال: فأَيْنَ عِلْمه من علم الناس اليوم؟ قال: **لو كان** في الناسِ اليوم **من** لا يعلَمُ إلاّ علمه يومئذٍ، لَضُحِكَ **به**، ولو كان فيهم من له ذهنه ونفاذه، ونظر **نظرهم**، كان أعلمَ الناس".

وذكر الباحث (ص١٣٩) بيتَ ذي الرمة:

وظاهرٌ لها من يابس الشخت ...

والبيتُ بهذا الشكل مبتورٌ وخارجٌ عن بُحور الشِّعر، وكم وددتُ لو أنّ الأستاذ الباحث كان أكمَلَه عن الدِّيوان، فلو فعل لما ظهر التنوينُ على الفِعلِ في أوّلِ الشطر. والبيت بتمامه:

وظاهِرْ لها مِن يابِسِ الشّخْتِ واستَعِنْ

عليها الصّبا واجْعَلْ يَدَكَ لها سِتْرا

وقال الباحث في معرضِ ذكرِهِ حيرةَ أبي عمرو بن العلاء ويونس في كلمةٍ قالها الفرزدق (ص ١٤٠- ١٤١): (ويحاولان أن يجدا تخريجاً فلم يعثرا، فيقولُ أبو عمرو: "لا أعرفُ لها وجهاً، وكان يونس لا يعرف لها وجهاً، قلتُ ليونس: لعلّ الفرزدقَ قالها على النَّصْب ولم يأبَه. فقال: لا، كان ينشدُها على الرفع، وأنشد فيها [وأنشدنيها] رُؤْبَةُ على الرّفع").

أقول: هذا النصّ كما جاء في البحث يفيد أن أبا عَمْرو يروي عن يونس ويسأله، وما كان يونس إلاّ تلميذاً لأبي عمرو يأخُذُ عنْه. والصّواب أن كلام أبي عَمْرٍو ينتهي عند قوله: "لا أعرف له وجهاً". وما تلا ذلك هو من قول ابنِ سلاّم، وكان يونس من شيوخِه[١٤].

وأعود فأشكر للأستاذ الدكتور جهده، فقد أفاد وأمتع.

---

(١٣) ص ١٥.

(١٤) المصدر السابق- المقدمة ص ٣٧.

شاعر السمو زهير بن أبي سلمى:

للأستاذ الدكتور عبدالقادر الرباعي

جمع الأستاذ الرباعي في مقاله الشائقِ الكثيرَ من أخبار شاعرٍ مشهورٍ حَظِي باهتمام الباحثينَ قديماً وحديثاً، لكنه تناولَ الشّاعِرَ مِنْ ناحيةٍ خاصّةٍ يراها الأستاذُ فيه: **السَّمُوّ**. وقد وُفِّقَ إلى حَدٍّ بعيدٍ في إظهار **السّمُوّ الفنّيّ** في شِعْره، فزُهَيْر شاعُر انتِقاءٍ وتنقيحٍ قلّما يَظْهَرُ في شِعْره سَقَطٌ أو خَطَل، ووُفِّقَ دون ذلِكَ في إظهار **سُمُوّ الشّاعِرِ الإنسان**، ولعلّ الأمْرَ راجِعٌ إلى التّناقُضِ ما بَيْن شِعْر السُّؤال والاستعطاءِ وبين السموّ. فقد حَطّ مِنْ قدرِ النّابغةِ الذُّبيانيّ – وقد كان في ذُؤابَةِ قومِهِ حسباً ومجداً – مَدْحُهُ النّعمانَ والحارثَ الغسانيّ، مع أنّهما مِنَ الملوك، فيكفَ بزُهَيْرٍ وقد مَدَحَ مَنْ دونَهما، واسْتجدى بِشِعْره فجمَعَ مِنْ ذلك ثروة. وكان يعمد إلى الهجاء إن لم يستَطِعْ نَيْلَ ما يَطْلُب بالمديح.. ثمّ كيْفَ يُمْكِنُ أنْ نَصِفَ **بالسموّ** شاعراً يهجو قوماً أسروا عبداً له وامتنعوا عن ردِّه بهذه الأبيات[١٥]:

وَلَـــوْلا عَسْـــبُهُ لَرَدَدْتُمـــوهُ ... وشَـــرُّ مَنيحَـــةٍ مُعـــارُ
إذا جَمَحـــتْ نِســـاؤُكُمُ إلَيْـــهِ ... أشَـــظَّ كأنَّـــهُ مَسَـــدٌ مُغـــارُ
يُبَرْبِـــرُ حـــينَ **يَعْـــدُو مِـــنْ بَعيـــدٍ** ... إلَيْهـــا وهْـــوَ قَبْقـــابٌ قُطـــارُ
إذا أبْـــزَتْ بـــه يومـــاً أهَلَّـــتْ ... كمـــا تُبْـــزي الصّـــعائِدُ والعِشَـــارُ

فأيُّ فُحْشٍ أكثر من هذا؟ وأي سمُوٍّ في شاعرٍ يلجأ إلى مثل هذا القول، وقد كان له مُنْتَدَحٌ في الهجاء العفيف الذي يبدو كالعِتاب، وفي طيّاته هجوٌ مُبِضٌّ، كقولِ النابغةِ في عامر بن الطفيل[١٦]:

فـــإنْ يَـــكُ عـــامِرُ قَـــدْ قـــالَ جَهْـــلاً ... فـــإنّ مَظِنّـــةَ الجَهْـــلِ الشّـــبابُ
فَكُـــنْ كَأبيـــكَ أوْ كـــأبي بَـــراءٍ ... تُوافِقُـــكَ الحُكومَـــةُ والصّـــوابُ
وَلا تَـــذْهَبْ بِحِلْمِـــكَ طامِيـــاتٌ ... مِـــنَ الخُـــيَلاءِ لَـــيْسَ لهُـــنّ بـــابُ
فإنّـــكَ سَـــوْفَ تَحلُـــمُ أو تَنـــاهى ... إذا مـــا شِـــبْتَ أوْ شـــابَ الغُـــرابُ

(١٥) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى – صنعة أبي العباس ثعلب، ص ٣٠١– ٣٠٣.

(١٦) ديوان النابغة الذبياني– تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – طبعة دار المعارف بمصر– ص١٠٩.

وما لِزُهَيْرٍ ولِهذا السِّبابِ الذي خاطبَ به رجلاً كان مدحَه قَبْلُ، ثم عادَ **شاعِرُ السموّ** فمدحه بعدَ إذ شَتَمه.

ثم كيف نصف بالسموّ شاعراً لا يربَأ بنفسِهِ عن أنْ يَنْتَحِل شِعْرَ غيره[١٧].

أقول: لعلّ حياةَ الجاهليّة ما كانَتْ تُتيحُ لشاعرٍ أن يوصفَ بالسمو المطلق، أو لعلّ الباحِثَ أخطأ الاختيار، وكان عليه أن يتوسَّم السمُوَّ في زيد بن عمرو بن نفيل وأقرانِه. ومهما يكن الأمر، فزُهَيْرٌ يبقى من أعفِّ شُعراءِ الجاهليَّة لساناً وخُلُقاً.

أعود إلى ما كُنْتُ علّقتُهُ على هوامِش البحثِ فأقول: جاء في ص ١٥٣ أنّ أبا سُلْمى هو ربيعة بين رياح بن قُرّة .. وهو (قرط) كما في "طبقاتِ فُحولِ الشّعراء" – ص٥١- و"جَمْهرةِ أنْسابِ العرب" – ص٢٠١-، كما جاء أنّ مُزَيْنَةَ هي بنت كلب بن وَبرة بن ثَعْلَب بن حلوان .. وهو تَغْلِب كما في شرح الدّيوان – ص٣٣٠- و"جمهرة أنساب العرب" – ص٤٥٢-، وأنّ عمرو بن أُد هو ابن طانجة بن مضر، وهو في الحقيقة ابن طابِخَة بن إلياس بن مُضر كما في المصَدَرَيْنِ السابقَيْن. ثم يقول الباحثُ إنّ ابنَ سلاّم جعلَ مُزَيْنَةَ واحداً من أجداد ربيعة، ونحن نعلم أنّ مزينة امرأة، وما قاله ابنُ سلاّم هو أنّ ربيعة من أبناءِ أبناءِ مُزَيْنَة.

وجاء في البحث (ص١٥٤) بيتان لأبي سلمى هما:

لِتَعْدُوْنْ إبِلٌ مُخَيَّسَةٌ ... مِنْ عِنْدِ سَعْدٍ وَابْنِهِ كَعِبِ
الآكِلِينَ صَرِيحَ قَوْمِهِما ... أَكْلَ الحُبارى بُرْعُمَ الرُّطَبِ

والصّحيحُ – كما في شرح الديوان (ص٢) – لِتَغْدُوَنْ- بالغين المعجمة- وأَسْعَدَ والرُّطْبِ، وما أظنّ هذه الأخطاء من الباحث.

ويقول الأستاذ (ص١٥٦): إنّ الذي دفعَ زهيراً إلى زواجِ كَبْشَةَ هو عقْمُ أُمِّ أوفى.

وأقول: لم تكُنْ أمُّ أوْفى عقيماً، يدُلّنا على ذلك قولُ زُهَيْرٍ (شرح الديوان ص ٣٤٢):

أَصَبْتُ بَنِيَّ مِنْكِ وَنِلْتِ مِنّي ... مِنَ اللّذّاتِ والحُلَلِ الغَوالِي

(١٧) وانظر ما جاء في البحث ص ١٧٣.

ويذكر الباحث بيتَ زهير (ص ١٥٧):

أَقيمي أُمَّ كَعْبٍ وَاسْتَقِرّي فإنَّكِ ما نَزَلْتِ بِها بِداري

والصواب "بِدارِ". أيْ أنّها دارُ صِدْقٍ إذا ما نزَلَتْ بها.

ويقارن الباحثُ بَيْنَ قولِ زهير:

فَـــإنّ الحَـــقّ مَقْطَعُـــهُ ثَـــلاثٌ يَمـــينٌ أوْ نِفـــارٌ أوْ جِـــلاءُ
فَـــذلِكُمُ مَقـــاطِعُ كُـــلِّ حَـــقٍّ ثَـــلاثٌ كُلُّهـــنّ لَكُـــمْ شِـــفاءُ

وقولِه تعالى:"وَلَكُمْ في القصاصِ حياة"، وشتّان ما هما. فقول زُهَيرٍ يُبيّن الطُّرُقَ التي يمكن إظهارُ الحقّ بها، والآية الكريمة لا تتناول الأمْرَ من قريبٍ أو بعيد. وقد جرى عُلماء العربيّة على مقارنةِ الآيَةِ هذه بقولِ العَرب: القَتْلُ أَنْفى لِلقَتْل.

ويدافع الأستاذ (ص١٧٢) عن استعمالِ زُهَيْرٍ لِكَلِمَتَيْ (حَقَّد) و(رَكَكُ) مُشيراً إلى أنّ الأُولى، على ثِقَلِها، أدّتْ ما أرادَ الشاعر، وأنّ ثِقَل الأخرى كان سبَبَ فَكِّ إدغامها. غير أنّ اعتراضَ النُّقّاد القدامى على الكلمة الأولى كان بسبب مجيئها ضِمْنَ أبياتٍ سلسةِ الكلمات فظهرت غريبةً بينها. أما فَكُّ الإدغام فلا يجوزُ في اسم علم.

ذيول وملاحظات

لكاتب هذه السطور، ومراجعة الأستاذ محمد شيت صالح الحياوي[١٨]

وقَعْتُ حديثاً على أبياتٍ أربعة لِسَلْمٍ الخاسِرِ ليستْ في شعره المجموع في كتاب "شعراء عباسيون"، ولم أكن أدْرَجْتُها ضمن بحثي المنشورِ في العدد الثاني من مجلةِ المجْمع اللغويّ الأردنيّ، ولا ضمنَ استدراكاتي على هذا البحْثَ في الذيولِ والملاحظاتِ المنشورةِ في العدد المزدوجِ السابع والثامن من المجلة المذكورة. وهذه هي:

ـ التخريج: الحماسة البصريّة – تحقيق مختار الدين أحمد- نشر دائرة المعارف العثمانية سنة ١٩٦٤.

قال سَلْمٌ الخاسرُ في محمد بن المهديّ (لعله محمد المهديّ):- من الطويل-:

١- بِمَوْتِ أميرِ المؤمِنينَ مُحَمَّدٍ زَها الموتُ واختالَتْ عليهِ المقابِرُ
٢- رَأَيْتُ المنايا يَفْتَخِرْن بمَوْتِهِ كَأَنّ المنايا تَبْتَغي مَنْ تفُاخِرُ
٣- فَلَوْ بَكَتِ الأيّام مَيْتاً بَكَتْ لَهُ سَوالِفها والباقِياتُ الغَوابِرُ
٤- وَما النّاسُ إلاّ لِلفَناءِ مَصِيرُهُمْ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْ يَوْمِهِ ما يُحاذِرُ

وقد كان الأستاذ الحياوي أبدى بعضاً من مآخذه على الذيول، رأيت أنْ أعرض لها هنا، ليس بقَصْدِ دفْع شُبْهَةِ التقصير أو الزّللِ عن نفسي، وأنا المِقُرُّ بالزّلَلِ والتقصير، ولكنْ دفاعاً عن استعمالاتٍ لُغويَّةٍ صحيحة، وعن عُلماء كانوا من بُناةِ صرْحِ اللغة طَعَنَ في أقوالهم.

يقول الأستاذ (ص١٦٠): لا يليقُ ذِكْرُ مُراهقين أحياناً فلكلِّ مقام مقال، لأنّها قد لا تُريحُ سامِعَها، أو ذوي العلاقة حيث تذكرهم بما لا يرغبون .. وأقول: إنّ كلمة مُراهق لا تعني سوى الغلام الذي قاربَ الحلم. وإنّ عدمَ الرّاحة يحصل حسب الاستعمال، كاستعمالك لِكَلمةِ "طفل" مثلاً. فإنّ وَصْفَكَ رجُلاً كهلاً بالمُراهَقَةِ يَسوؤه كوَصْفِكَ إياه بالطُّفولة. ولا يفوتنا أنْ نَذْكُرَ أنّ استعمالَ الكلمةِ الإنكليزيةِ أيضاً قد يفيدُ معنًى غير مُريحٍ لذوي العلاقة.

ويقولُ الأستاذ في معرضِ تعليقِهِ على النّسب إلى عشرين وثلاثين: اعتمد الكاتبُ على رأي ابن سِيدَه، وهو رأْيٌ لا نقرُّهما عليه، لأنه يؤدي إلى اختلاط النسب في الأعداد المُفْرَدِة والعقود – ثلاثين فما بعدها.

---

(١٨) مجلة مجمع اللغة العربية الأردني – العدد المزدوج (١١-١٢) ص ١٦٠.

وأقول: تَخْطِئَةُ ابنِ سِيدَه، وهو من هو، دونَ دليلٍ أو رجوعٍ إلى قولِ عالِمٍ من علماء العربيّة، أمْرٌ لا أُقِرُّ الأستاذ عَلَيْه، فكيف إذا أُضَفْنا إلى ذلك أنّ ابْنَ سِيدَه وافَقَ في رَأيِهِ الفرّاء ونقلَ عنه وعن أبي عليّ الفارسيّ الذي برّر حذفَ الياء والنون في النِّسْبةِ لِتَجَنُّبِ الجمعِ بين إعرابيين. أمّا قولُ الأستاذ المعلّق باختلاط النسب في الأعداد المفردة والعقود فهو غير وارد، وكيف يختلط ثُلاثِيٌّ وثَلاثِيّ، ورُباعِيٌّ وأَرْبَعِيّ.

ويعلق الأستاذ على ما جاء في الذيول: (أما إذا أرَدْتَ النسبَ إلى ثَلاثَةٍ فتقول: ثُلاثِيّ). فيقول: لا حاجة إلى الفاء فهي زائدة. والنسب إلى ثَلاثَةٍ هو ثَلاثِيّ بفتحِ الثاء الأُولى لا بِضَمِّها لأنّ المضمومَة مَنْسوبةٌ إلى ثُلاث ولهما معنيان مختلفان".

وأقول: إنّ الفاء في جواب إذا ضروريّة، ولكنّ هناك من النحاة من جَوّزَ حَذْفَها. ولا يجوزُ تَخطِئَةُ إثباتِها وهو الأصْل. قال عُمَر بن أبي ربيعة:

رَأَتْ رَجُلاً أمّا إذا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحى وأمّا بالعَشِيّ فَيخْصرُ

والنّسبُ إلى ثلاثة، إذا كانت اسماً لِشَخْص، أو النسب إلى بني ثَلاثَة، ثَلاثيّ بفَتْحِ الثاءِ الأولى كما جاء في المخصّص (ج ١١٨/١٧) عن الفرّاء. قال:"وإن كان ثَوباً طولُهُ ثلاثُ أذْرُعٍ قُلْتَ ثُلاثِيّ إلى العَشْر" ولهذا أدلّةٌ كثيرةٌ في اللغة، فالفعِل الثُّلاثِيّ أو الرُّباعيُّ هو الفِعْل ذو الحُروفِ الثلاثة أو الأربعة، وقِسْ على ذلك. وجاء قولُهُم: فَتًى ثُلاثِيٌّ أو رُباعِيّ أو خُماسيّ، إذا بلَغ طولُه ثلاثَةَ أشبارٍ أو أَربعة أو خمسة، ولا يقالُ سُداسِيّ لأنّه عند ذلِكَ يُصْبِحُ رجُلاً. ونحن إذا نسبْنا إلى عبدِالواحد قلنا (واحِدِيّ)، وإلى واحد قلنا (أُحادِيّ)، وهل سَمِعْنا بِفِعْل أرْبَعيّ أو سِتّيّ (سِدْسِيّ)؟ وكَمْ كنتُ أتمنّى لو جاء الأستاذُ بدليلٍ من اللغةِ على ما قاله، فيستفيد الجميعُ عن قناعةٍ لا عن تسليم.

وأشكرُ للأستاذ اهتمامَه بما كتَبْتُ، أبقاه الله ومتّعنَا بعلمه وأكْثَرَ مِنْ أمثاله.

المهندس حاتم غنيم

استدراك على "شعر ابن ميادة"

للدكتور خليل أبو رحمة

ذكر العيني في "المقاصد النحوية" أن لابن ميادة ديوان شعر. ويذكر محمد نايف الدليمي، جامع شعر ابن ميادة ، أنه لم يوفق في الحصول على نسخة من هذا الديوان[1]، ولذا اضطر إلى جمع أشعاره من المظان المختلفة. ويبدو أن كتاب الأغاني أهم مرجع لشعر الشاعر وسيرة حياته؛ بل إن أكثر المراجع الأخرى المهمة – كتاريخ ابن عساكر، وخزانة الأدب - تعتمد الأغاني، رغم ما يلحظ من خلاف بسيط.

ورغم الجهد الذي بذله الدليمي في جمع شعر ابن ميادة وتحقيقه، فقد عثرت على أبيات لم يثبتها في شعر الشاعر، لأنه لم يستوف المراجعة المطلوبة، كما يظهر بعض التسرع في عمله؛ فهو يثبت "تاريخ ابن عساكر" ضمن المراجع التي اعتمدها، ولكنه، فيما يبدو، اعتمد ترجمة ابن ميادة في الكتاب المذكور، ووقف عند هذا الحد. ولو قلب صفحات الكتاب لوجد قطعة لم يذكرها الأصفهاني. ففي المجلد الثالث[2] في ترجمة "ثابت بن نعيم الجذامي"- الذي خرج على مروان بن محمد بفلسطين، ثم هرب إلى مصر، فأسره الحوثرة الباهلي وأرسله إلى مروان فقتله- قصيدة ذات تسعة أبيات، يشيد الشاعر فيها بأبطال قبيلة قيس، الذين قضوا على الفتنة، ويفتخر بأيام القيسيين ومعاركهم. وابن عساكر لا يقطع في نسبة القصيدة على ابن ميادة، بل يقول: "وقال فيه - أي ثابت بن نعيم الجذامي- بعض شعراء قيس، وقيل إنه ابن ميادة"[3]. وهذا القول يوجب وضع القصيدة ضمن "باب المنسوب إلى ابن ميادة"- حسب ترتيب الدليمي- لولا أن الجاحظ ذكر في كتاب "الحيوان"[4] بيتاً منها ونص أنه لابن ميادة، وهو:

وعند الفزاري العراقي عارض كأن عيون القوم في نبضه جمرُ

وهو البيت الثامن في الترتيب عند ابن عساكر، مع اختلاف بسيط.

---

(١) شعر ابن ميادة، المقدمة /١٣.

(٢) ص ٣٧٢.

(٣) ج٣/٣٧٢.

(٤) ج٣/٣٢٢ والبيت في شعر ابن ميادة /٥٥.

كما ذكر الكندي (ت ٣٥٠هـ) في كتابه "الولاة القضاة"[٥] بيتين من القصيدة، وذكر أنهما لابن ميادة، وهما:

لقد سرني، إن كان شيء يسرني مغار ابن هبار على بلخ والسفرُ
وحوثرة المهدي بمصر جياده وأسيافه حتى استقامت له مصرُ

والبيت الأول لا تتضمنه الأبيات الموجودة في تاريخ ابن عساكر، أما البيت الثاني فهو الخامس عند ابن عساكر، مع اختلاف في بعض الكلمات. وبذا نكون قد عرفنا من القصيدة عشر أبيات، أثبت منها جامع شعر ابن ميادة بيتاً واحداً ذكر في كتاب الحيوان. والأبيات – كما يبدو- تسير على هذا النحو:

وما للجذامي الذي جز رأسه ولحيته ثم ابتغى ملكنا غرُّ
حذار كأن يلقاه يوماً بموطن فوارس يرديها أبو الورد والصقرُ
فوارس صدق لا يبالون من ثوى يجرون أرماحاً عواملها سمرُ
هُمُ تركوا ما بين تدمر والقفا قفا الشام أحواراً منازلها صفرُ
لقد سرني، إن كل شيء يسرني مغار ابن هبار على بلخ والسفرُ
وحوثرة المهدي بمصر جياده وأسيافه حتى استقامت له مصرُ
فما لك بالشام المقدس منزل ولا لك في نجد ذراع ولا شبرُ
وما لك بين الأخشبين معرس بمكة إلا حيث يرتقب الوتر
وعند الفزاري العراقي عارض كأن عيون القوم في نبضه الجمرُ
وان لقيس كل يوم كريهة وقائع مسرور بها الذئب والنسرُ

وهذه القصيدة مهمة، لأنها من القصائد القليلة التي تفصح عن موقف بعض شعراء مضر من الفتن الداخلية أيام مروان بن محمد.

وتروى قصيدة ابن ميادة "الرائية" التي مطلعها:

ألم تر أن الصاردية جاوزت ليالي بالممدور غير كثير

في "الأغاني" روايتين مختلفتين، بالنظر إلى عدد الأبيات، وإلى بعض الألفاظ. وقد اعتمد الدليمي رواية واحدة وأهمل الأخرى، فلم يشر إليها، وبذلك سقط بيت من القصيدة وهو:

---

(٥) ص ٩١.

وقالت، وما زادت على أن تبسمت: عذيرك من ذي شيبة وعذيري[٦]

ويبدو أن ترتيبه العاشر في القصيدة.

وفي كتاب المقتضب[٧] للمبرد هذا البيت:

بكيت وما بكا رجل حزين على ربعين: مسلوب وبالي

وقد نسب البيت عند سيبويه إلى رجل من باهلة، ونسبه السيوطي إلى ابن ميادة[٨]، ولم يثبته الدليمي.

وفي كتاب "الموازنة بين أبي تمام والبحتري"[٩] بيتان لابن ميادة لم يثبتهما الدليمي، لأنه لم يعتمد الموازنة مرجعاً من مراجعه. والبيتان هما:

يـــذكرنيها أن تغنـــت حمـــائم لهـن علـى خضـر العضـاة عويـلُ
تجـاوبن فـي حـد النهـار بعولـة وأخرى توافي الشمس كل أصيلِ؟؟

ويبدو لي أنهما من القصيدة رقم (١١٧) حسب ترتيب الدليمي، فهما يشتركان معها في البحر والقافية، كما ينسجمان معها في المعنى.

وفي كتاب "المرصع"[١٠] لمجد الدين المبارك بن محمد، المعروف بابن الأثير، بيت لم يثبته الدليمي وهو:

أني وجدت بني نوم يلفهم مشمر بثياب الحرب مجتنب

ولم يعتمد الدليمي كتاب "العيون والحدائق"، وفيه القصيدة التي رثى فيها ابن ميادة الوليد بن يزيد. والدليمي يذكر القصيدة، ولكن رواية "العيون والحدائق" تختلف قليلاً، فهذا البيت يرد في الشعر المجموع هكذا:

لقد فعلت بنو مروان فعلا وأمراً ما يسوغ به القراح[١١]

---

(٦) الأغاني ٢/٢٧٧.

(٧) ج٤/٢٩١.

(٨) انظر هامش ص ٢٩٢ من المصدر السابق.

(٩) ص ١٥٢ الجزء الثاني.

(١٠) ص ٣٣٠.

(١١) شعر ابن ميادة / ٣٣.

ويرد في "العيون والحدائق"[١٢] هكذا:

لقد فعلتم بنو مروان فعلا ذميماً ما يسوغ به القراح

وقد يكون الصحيح هكذا:

لقد فعلت بنو مروان فعلا ذميماً ما يسوغ به القراح

ومهما يكون، فقد يكون في هذه الإضافات إلى عمل الدليمي بعض الفائدة لمن يريد قراءة شعر ابن ميادة. وقد يكون للتنبيه إليها معنى الحفز لإعادة جمع شعر الشاعر. والله الموفق.

د. خليل أبو رحمة

جامعة اليرموك

(١٢) ج ٢/١٤٧.

أخبَار مجمعيّة

نعي

ينعى مجمع اللغة العربية الأردني ببالغ الحزن الزميل المرحوم

معالي الأستاذ علي نصوح الطاهر

الذي انتقل إلى رحمة الله في مصر في ١٩٨٢/١١/٤. وقد كان المرحوم عضو شرف في المجمع، وتفضل قبل سنوات قليلة بإهداء مكتبته كاملة إلى المجمع.

وإن المجمع، رئيساً وأعضاء، ليضرع إلى الله العلي القدير أن يسكن الفقيد العزيز فسيح جنانه، ويلهم آله الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

وقد قام المجمع بنعي الزميل المرحوم إلى المجامع اللغوية والعلمية الشقيقة.

نبذة من حياة الفقيد

الأستاذ على نصوح الطاهر

(عن كتاب: أعلام الفكر والأدب في فلسطين

ليعقوب العودات (البدوي الملثم) عمان (١٩٧٦)

ولد المرحوم علي نصوح الطاهر في يافا/ فلسطين، عام ١٩٠٦م، ونزح مع والديه إلى بورسيعد عام ١٩١٢، ثم إلى المنصورة، فالقاهرة عام ١٩١٥. وتلقى دروسه الابتدائية في المدارس الأميرية في بورسعيد، فالقاهرة، والتحق بمدارس التبانة، والالهامية، ثم بالجامعة الأمريكية في القاهرة.

في عام ١٩٢٤ عاد إلى فلسطين، وعين مدرساً للغة الإنكليزية في المدرسة الصلاحية، في نابلس. وعند وصول اللورد بلفور، صاحب الوعد المشؤوم، إلى فلسطين عام ١٩٢٥، شجع الطاهر طلابه على القيام بتظاهرة صاخبة، قادها بنفسه إلى سراي الحكومة في نابلس. فبادرت السلطات المسؤولة إلى كف يده عن العمل. فغادر نابلس إلى القاهرة.

بعد صدور العفو عنه، عاد إلى فلسطين، واستأنف عمله في المدرسة الصلاحية في نابلس. وأسس مع نفر من إخوانه أول ناد باسم "نهضة الشبان".

وفي أعقاب عام ١٩٢٥ أحس بأن في نية مدير معارف فلسطين نقله إلى بئر السبع. فاستقال من عمله، وسافر إلى مدينة مونبيلييه، في فرنسا، حيث درس اللغة الفرنسية، ثم تنقل بين تولوز، وفرساي، ورين. والتحق أخيراً بالمعهد الزراعي في جامعة العلوم في نانسي، وتخرج عام ١٩٣٠. ثم انتسب إلى جامعة العلوم في باريس (السوربون) للحصول على لقب مهندس دكتور. والتحق في الوقت نفسه بمدرسة الاقتصاد السياسي في باريس. وفي عام ١٩٣٣ أقبل على دراسة شجرة الزيتون في فلسطين بشغف ورغبة ملحة.

في أول عمله الحكومي في فلسطين عين عام ١٩٣٢ مساعداً لكبير مفتشي البستنة، فكبيراً للمتفشين العرب عام ١٩٤٣.

وفي عام ١٩٤٦ استقال من عمله، وانتقل إلى شرقي الأردن، مديراً للزراعة والبيطرة والمعادن، فوكيلاً لوزارة الزراعة من عام ١٩٥١ إلى عام ١٩٦٠. ثم عين وزيراً للزراعة والإنشاء والتعمير عام ١٩٦٠. ثم وزيراً للزراعة عام ١٩٦٢، فرئيساً لسلطة قناة الغور الشرقية برتبة وزير، فعضواً في مجلس الأعيان، فوزيراً للزراعة، فنائباً لرئيس مجلس الإعمار، عام ١٩٦٣، وأخيراً عين سفيراً للأردن في طهران عام ١٩٦٦. وفي صيف ١٩٦٧ أحيل على التقاعد، وغادر

الأردن إلى القاهرة، وأقام في مصر الجديدة حتى عام ١٩٧٩، ثم انتقل إلى بيته الخاص قرب الإسماعيلية، حتى انتقل إلى رحمة الله في ١٩٨٢/١١/٤.

من آثاره العلمية:

زود المرحوم علي نصوح الطاهر المكتبة العربية بمجموعة من الكتب العلمية القيمة. منها:

١- أنواع العنب الفلسطيني (مترجم عن الإنكليزية).

٢- زراعة المشمش في فلسطين (عن الإنكليزية).

٣- شجرة الخروب.

٤- شجرة الزيتون. وهذا الكتاب قمة أعماله العلمية، وقد استغرق تأليفه أربعة عشر عاماً، وجاء في ٦٤٦ صفحة من القطع الكبير، وصدر عام ١٩٤٧.

٥- مؤتمر الزيتون، ويشتمل على حياة شجرة الزيتون بأسلوب قصصي.

٦- حشرة الفيلوكسيرا- عام ١٩٥٨.

٧- أصناف المشمش الأردنية – ١٩٥٨.

٨- أوائل السور في القرآن الكريم – ١٩٥٤- ١٩٦٤.

٩- الروح الخالدة. بحث فلسفي (نظرات في عينية ابن سينا)- ١٩٦٠.

١٠- تفسير سورة البقرة، وسورة آل عمران، وسورة النساء، وفاتحة الكتاب.

وله عدد من المخطوطات، أهدى بعضها إلى مكتبة مجمع اللغة العربية الأردني، حين أهدى إلى المجمع كل مكتبته الخاصة. ومن أهم هذه المخطوطات:

١- القرآن الكريم كما فهمته – في ١٨ مجلداً.

٢- تاريخ القبائل العربية في الأردن.

٣- مجموعة محاضرات زراعية وغيرها، وأحاديث أذيعت من دار الإذاعة الفلسطينية عام ١٩٣٣.

٤- أوراق وترجمات وذكريات.

رحمه الله رحمة واسعة.

من منشورات المجمع

- صدر في منشورات المجمع أخيراً كتاب "المقنع في الفلاحة"، تأليف أحمد بن محمد بن حجاج الإشبيلي، وتحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية، وإشراف وتدقيق الدكتور عبدالعزيز الدوري.

وكان ينبغي أن يصدر هذا الكتاب من قبل، احتفاء بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، غير أن ظروفاً قاهرة حالت دون صدوره في الوقت المناسب.

ويسر المجمع أن يقدم هذا الكتاب إلى العالم العربي، مساهمة في خدمة تراثنا العربي المجيد.

- وسيصدر قريباً كتاب "فهرس مخطوطات الحرم الإبراهيمي في الخليل"، من إعداد الأستاذ محمود علي عطا الله، من أعضاء الهيأة التدريسية في كلية النجاح، في نابلس. وقد جاء في مقدمة الكتاب أن عدد مخطوطات الحرم الإبراهيمي يبلغ ٨٤ مخطوطاً، مختلفة الموضوعات، ولكن القسم الأكبر منها من المخطوطات الدينية.

والمجمع إذ يصدر هذا الكتاب في منشوراته، فإنما يفعل ذلك حفاظاً على مثل هذه المخطوطات التراثية القيمة، التي توجد في أحد المساجد الكبرى في فلسطين المحتلة.

- وفي منشورات المجمع، وضمن حملة تعريب التعليم العلمي الجامعي، ظهرت كذلك الكتب التالية:

١- مبادئ البصريات الكلاسيكية والحديثة، تأليف ماير/ أرندت، وترجمة وتحقيق وإشراف الدكتور عمر الشيخ، ومراجعة الدكتور أحمد سالم.

٢- الجبر المجرد، تأليف ديفيدسون، ترجمة الدكتور ديب حسين، ومراجعة الدكتور محمد عرفات النتشة، والدكتور أحمد سعيدان.

- وستصدر قريباً كذلك الكتب التالية:

١- مبادئ التحليل الرياضي – تأليف مادوكس، وترجمة الدكتور وليد ديب.

٢- مبادئ المعادلات التفاضلية – تأليف ديرك وغراسمان، وترجمة الدكتور أحمد سعيدان.

٣- تطور الأجنة - تأليف ستيفن أوبنهايمر، وترجمة الدكتور رمسيس لطفي.

٤- الكيمياء التحليلة – تأليف بيترسيك وترانك، وترجمة الدكتور سليمان سعسع والدكتور عبدالمطلب جابر.

وهذه الكتب جميعها، ما صدر منها وما هو في طريق الصدور، من كتب السنة الثانية الجامعية. وهناك عدد آخر من الكتب الخاصة بالسنة الثانية الجامعية ما تزال بين أيدي المترجمين والمراجعين العلميين واللغويين، وستدفع للطبع بعد الفراغ من ترجمتها ومراجعتها، وهي في الإليكترونيات، والكيمياء، والأحياء.

محاضرة

ألقى الدكتور يوسف الهليس في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع محاضرة، مساء يوم السبت ١٩٨٢/١٠/١٦م ، عنوانها: "الطرق التكنولوجية الحديثة في الأبحاث اللغوية، وموقع العربية الفصحى منها". وقد استمع إليها جمهور كبير من أعضاء الهيأة التدريسية والطلاب والطالبات في الجامعة الأردنية، ومن أعضاء المجمع.

وقد شرح المحاضر النظريات الحديثة في الصوتيات، مستعيناً على ذلك بالصور والتسجيلات.

المواسم الثقافية

أوصت لجنة الندوات والمحاضرات في المجمع بأن يكون الموسم الثقافي لعام ١٩٨٣م من أول نيسان حتى نهاية أيار، وأن يشتمل الموسم على ست محاضرات وثلاث ندوات، ويشارك فيه أعلام من الأقطار العربية، وعدد من أعضاء المجمع. وقد وافق مجلس المجمع على توصية اللجنة، وشرع المجمع في الإعداد لهذا الموسم الثقافي، الذي نرجو أن يشارك فيه جمهور المثقفين الأردنيين. وستكون الدعوات إلى هذا الموسم عامة، لاستقبال أكبر عدد ممكن من المهتمين بشؤون الثقافة والفكر في الأردن.

بيع منشورات المجمع

كان المجمع قد تعاقد مع المكتبة الأموية على أن تتولى الوكالة العامة لبيع منشورات المجمع داخل الأردن وخارجه. ولكن المجمع عاد بعد خمسة أشهر فسحب الوكالة العامة من المكتبة الأموية لأنها لم تقم بتنفيذ شروط الاتفاقية.

ويعلن المجمع أنه هو المصدر الوحيد لبيع جميع منشوراته، وليس له أي وكيل أو وسيط.

التقرير السنوي الخامس للمجمع

أقر مجلس المجمع التقرير السنوي الخامس للمجمع لعام ١٩٨٢م، وهو يشتمل على ما حققه المجمع من إنجازات خلال هذا العام، وما بدأه من مشاريع، وما له من تطلعات وطموحات للمستقبل.

وسيصدر هذا التقرير قريباً جداً، ويوزع على الجهات المعنية.

تعديل قانون المجمع

نتيجة لتجارب الأعوام الستة الماضية من عمر المجمع، رأى مجلس المجمع إجراء بعض التعديلات على قانون المجمع رقم (٤٠) لعام ١٩٧٦م، وشكل لجنة لهذا الغرض. وقد عقدت اللجنة ثلاثة اجتماعات، درست فيها مواد القانون دراسة وافية، وأجرت التعديلات التي رأتها ضرورية. ثم رفعت نتيجة عملها إلى مجلس المجمع. وبعد أن ناقشها المجلس في جلستين متواليتين، قرر رفعها بوساطة وزير التربية والتعليم إلى مجلس الوزراء لاتخاذ الخطوات اللازمة لإقرارها.

اجتماع وطني كبير في المجمع

في الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الاثنين ١٩٨٢/٨/١٦م عقدت وزارة الشؤون البلدية والقروية والبيئة اجتماعاً كبيراً، برئاسة رئيس الوزراء السيد مضر بدران، حضره جميع رؤساء البلديات والمجالس القروية، وعددهم نحو ٤٠٠ رئيس، وذلك في قاعة الندوات والمحاضرات في مبنى المجمع، كما حضره عدد من الوزراء، هم: وزير الإعلام السيد عدنان أبو عودة، ووزير الشؤون البلدية والقروية والبيئة السيد حسن المومني، ووزير الداخلية السيد أحمد عبيدات، والسيد عصام العجلوني أمين العاصمة.

وكان الغرض من الاجتماع بحث الشؤون العربية الحاضرة، وتبادل وجهات النظر بين الحكومة وممثلي الشعب في ما يهم الأردن والعرب في الظرف الحاضر، والعدو يغزو لبنان، ويشن حرب إبادة، على الفلسطينيين واللبنانيين، ليقف الشعب والحكومة والجيش في وجه كل خطر قد يتهدد أمن البلد وسلامته.

وكان رئيس الوزراء يرد بصراحة تامة على كل ما وجه إليه من أسئلة واقتراحات، وما عرض عليه من مشاكل محلية.

واستغرق الاجتماع أكثر من أربع ساعات.

مناقشة رسائل الماجستير

تمت خلال الأشهر الأخيرة مناقشة الرسائل التالية للماجستير في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع، في إطار التعاون القائم بين المجمع والجامعة الأردنية:

١- "ابن شرف القيرواني"
للطالب حلمي إبراهيم عبدالفتاح
صباح الاثنين، ١٩٨٢/٨/٢.
وكانت لجنة المناقشة تتألف من السادة:
الأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة (المشرف)
والأستاذ الدكتور محمود السمرة
والأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

٢- "القصة القصيرة في فلسطين المحتلة: ١٩٦٧- ١٩٨١"
للطالب عادل أحمد مصطفى الأسطة
صباح السبت، ١٩٨٢/٨/١٤م.
لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف)
والأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة
والأستاذ الدكتور نصرت عبدالرحمن

٣- "صحيفة السياسة الأسبوعية ودورها في الحركة الأدبية"
للطالب عواد عبد ربه أبو زينة
صباح الثلاثاء، ١٩٨٢/٩/٢١م.
لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور عبدالرحمن ياغي (المشرف)
والأستاذ الدكتور هاشم ياغي
والأستاذ الدكتور نصرت عبدالرحمن

٤- "سيد قطب، الناقد الأديب"
للطالب عبدالله عوض الخباص

صباح الأربعاء، ١٩٨٢/٩/٢٢م.

لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور عبدالرحمن ياغي (المشرف)

والأستاذ الدكتور هاشم ياغي

والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد

٥- "موقف أبي فرج الأصفهاني من الانتحال في الشعر العربي، في كتاب الأغاني"

للطالب جلال يوسف العطاري

صباح السبت، ١٩٨٢/١١/١٣م.

لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور حسين عطوان (المشرف)

والأستاذ الدكتور عبدالعزيز الدوري

والأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

٦- "ابن الأبار القضاعي – حياته وشعره"

للطالب حسن محمود فليفل

بعد ظهر يوم السبت، ١٩٨٢/١٢/١٨م.

لجنة المناقشة: الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف)

والأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

والأستاذ الدكتور محمود إبراهيم

٧- "الطبيعة في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين"

للطالب حمدي محمود ناجي منصور

صباح الأحد، ١٩٨٢/١٢/٢٦م.

لجنة المناقشة: الدكتورة عصمة عبدالله غوشة (المشرفة)

والأستاذ الدكتور عبدالكريم خليفة

والدكتور محمد بركات أبو علي

علي بن هذيل الأندلسي وكتابه :
(تحفة الأنفس ونوادر سكان الأندلس)

لدكتور خليل أبو رحمه

اذا كانت الاندلس المسلمة قد بلغت من القوة أيام الدولة الاموية بحيث هابها الاعداء . فانها انحدرت — فيما بعد — الى حالة سياسية سيئة، حيث تقاسمها ملوك الطوائف ، ولم يرعو بعضهم عن طلب العون من ملوك النصارى ضد أبناء دينه ؛ فأخذت قواعد الاندلس تتساقط تباعا في أيدي النصارى ، رغم ما بذله المرابطون، ومن بعدهم الموحدون من جهود في المحافظة على ما تبقى من قواعد بأيدي المسلمين .

وفي ثنايا الفتن والمنازعات والدسائس ، تقوم مملكة غرناطة (٦٣٥ هـ)، بزعامة محمد بن يوسف النصري الخزرجي المعروف بابن الاحمر . وتتحمل هذه الدولة الصغيرة مسؤولية الجهاد منذ نشأتها . وتستطيع أن تصمد في وجه حرب الاسترداد التي اتخذت طابعا قوميا ودينيا . ويشاء الله لهذه المملكة الصغيرة أن تعمر ما يقرب من قرنين ونصف قبل أن تلفظ أنفاسها الاخيرة ، وتستسلم الى أولئك الذين تمت على أيديهم مأساة من أفظع مآسي التاريخ .

ولا يخفى على الدارس أن مملكة غرناطة قد بلغت قمة مجدها السياسي والعلمي أيام السلطان أبي الحجاج يوسف الاول (٧٣٣ —

٧٥٥ هـ) ، وابنه السلطان محمد الخامس . المعروف بالغني بالله ، الذي توفي سنة ٧٩٣ هـ . فكان الملكان — فوق فروسيتهما — عالمين يشجعان العلم ويرعيانه : ففي زمن أبي الحجاج شيدت « المدرسة اليوسفية » المشهورة . كما تم بناء المارستان الاعظم في غرناطة زمن الغني بالله . ونبغ في هذه الفترة طائفة من أهل العلم والادب ، وعلى رأسهم ابن الخطيب ، وابن الجياب ، وابن زمرك ... وبين أولئك عاش صاحبنا ابن هذيل ، وأسهم بتآليفه في هذه الحركة العلمية الناشطة . وكان أديبا ملتزما بقضية أمته المهمة ، كما يظهر ذلك من كتابه « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » ، وهو يقع في جزأين : الاول في الجهاد عامة ، والثاني في الخيل والسلاح . فالرجل قد استجاب لظروف العصر ، وأصاخ لدواعي النصر ؛ وبذلك كان أديبا واقعيا عمليا لا خياليا ، حيث اتخذ من الادب دعوة للجهاد في سبيل الله . وهو قد أنس بفيء القرآن الكريم ، وبسنّة المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وبالتاريخ الاسلامي والعربي في تأليف كتابه المذكور . وهذا الكتاب من الكتب التي تفصح عن الروح الاسلامية وهمومها آنذاك أكثر مما تفصح كتب التاريخ . فالرجل قد اكتوى بنار التجربة ، فعبّر باحساسه الخاص عن احساس عام ، ولا سيما في الجزء الاول من كتابه .

وابن هذيل هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن هذيل الاندلسي الغرناطي (١) ؛ ينتسب الى قبيلة فزارة . كما يفهم من قوله : « وقال بشر بن هذيل وهو أحد قومنا (٢) ... » . ذكر محقق « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ما نصه : « وعلى كثرة التراجم التي أوردها صاحبا نفح الطيب والاحاطة ، لم تقع العين على اسم هذا المؤلف الذي يشترك في بعض الاسم مع الحكيم الاندلسي أبي زكريا يحيى بن

هذيل ، الذي كان من اشهر علماء الاندلس في القرن الثامن من الهجرة . وقد تعاصر مؤلفنا ويحيى بن هذيل ، وعاشا في مدينة غرناطة ، عاصمة دولة بني نصر أو بني الاحمر (٣) . ويقول لويس مرسييه : « أما ابن هذيل فلم اقف على ترجمته في كتب التراجم والمعاجم (٤) . ويبدو لي أن قول مرسييه أكثر حيطة من القول السابق لمحقق الحلية . وقد بحثت ما وسعني البحث فلم اقف على ترجمته في الكتب التي رجعت اليها ، ولكنني وقعت على ما أعتقد انه اشارة اليه . فقد جاء في « النفح » (٥) ما يلي : « وكتب ابن هذيل الفزاري للغني بالله ، سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليس يا مولاي لي من جابر اذ غدا قلبي من البلوى جذاذا

غير صك أحمر تكتب لي فيه يمناك اعتناء : صحّ هذا

والارجح عندي أن هذه الاشارة هي اشارة الى مؤلفنا ، ولي في ذلك أدلة أستند اليها : فأبو زكريا يحيى بن هذيل توفي سنة ٧٥٣ هـ . أي قبل أن يصبح الغني بالله سلطانا بسنتين . وقد بحثت عمن يكنى بابن هذيل في هذه الفترة فلم أجد واحدا يمكن أن ينسب البيتان اليه . وصاحبنا كان يُعرَف بالفزاري ، فهو ينتسب الى « فزارة » كما يؤخذ من كتابه « عين الادب والسياسة » (٦) . كما بحثت عن ابن هذيل الفزاري في الكتب القديمة فلم أجد له ذكرا . وفوق ذلك فابن هذيل قد رفع الجزء الاول من كتابه « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » الى السلطان الغني بالله ، كما سيجيء . وهذه الاشارة ، ان صحت ، هي ذات دلالة على أن الرجل كان مقربا من الغني بالله ، فهو يكاتبه . كما تدل على أن الرجل كان ينظم الشعر ، وان لم يكن شاعرا . وانا لم أجد له شعرا في كتابه « التحفة » .

يذكر مرسييه انه بحث عمن يحتمل أن يكون جدا من أجداد علي بن هذيل ، فلم يجد من يحتمل أن يكون ذلك الا شيخا زاهدا اسمه ابو الحسن بن هذيل ؛ فانه لم يزل بقيد الحياة في أواخر القرن السادس الهجري ؛ وهو بلنسي الاصل ، كان صاحب الصلاة والخطبة بمسجد لُوْرقة ، وأجاز لعدة من مشاهير علماء ذلك القرن ، منهم القاضي عياض (٧) . ويذكر مرسييه أن أبا البقاء خالد بن عيسى بن أحمد البلعي قد ذكر في رحلته « تاج المفرق في تحلية علماء المشرق » الشيخ أبا الحسن علي بن محمد بن علي بن هذيل البلنسي . ويخلص مرسييه الى القول : « فيحتمل أن حفدة الشيخ ابن هذيل هذا كانوا من جملة المسلمين الذين أخرجهم ملك الاسبان، دون خايمه، من بلنسيا سنة ٧٥٠ هـ ، والتجأوا غالبا الى ايالة غرناطة ، حتى ازداد منهم مؤلف التحفة » (٨) . وقد بحثت عن الشيخ أبي الحسن المذكور فوجدت ابن الأبّار يذكره في كتابه « المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدفي » (٩) ، ووجدت انه توفي سنة ٥٦٤ هـ ، ولم يعمر حتى نهاية القرن السادس الهجري ، كما ذكر مرسييه . ولا يعقل أن يكون علي بن هذيل قد ازداد من حفدة الشيخ المذكور سنة ٧٥٠ هـ أو بعدها ، لانه رفع الجزء الاول من « التحفة » سنة ٧٦٣ هـ الى الغني بالله ؛ فالاصح انه ولد قبل سنة ٧٥٠ هـ. وهكذا فاحتمال مرسييه ضعيف، ولا سيما أن الرجلين يلتقيان في الاسم « محمد »، وهو والد الشيخ، والجد الثاني لعلي بن هذيل ؛ ولكن المدة الزمنية بين أبي الحسن علي بن محمد ، وعلي بن عبد الرحمن ، تقرب من مئتين وخمسين عاما . والارجح عندي أن بين الاثنين عمومة بعيدة، أو خؤولة بعيدة .

شيخ من شيوخ علي بن هذيل :

اما شيوخ ابن هذيل ، فلم أعرف منهم الا واحدا ، ذكره ابن هذيل في الجزء الثاني من كتاب التحفة (١٠) ؛ فقد جاء في الكتاب المذكور ما نصه : « ومن أبدع ما قيل فيه — يعني الرمح — قول شيخنا القاضي الشريف أبي القاسم الحسني ، رحمه الله : .

واصمّ ممطول الكعوب اذا اقتضى مهج الكماة فدينه لا يمطلُ

متوقد حتى اقول : اذابل بِيَدَيَّ منه ام ذبالٍ مشعلُ

لولا التهاب النصل أيفع عوده مما يُعَلُّ من الدماء وينهلُ

فاعجب له ان النجيع بطرفه رمد ولا يخفى عليه مقتلُ (١١)

وابو القاسم الحسني « هو محمد بن أحمد الحسني السبتي القاضي، الملقب بالشريف ؛ آية الله في العربية ؛ شرح الخزرجية ، لم يسبقه احد الى ذلك . قال ابن الخطيب القسنطيني في وفياته : له شعر مدوّن سماه « جهد المُقِلّ » . كان إماما في الحديث والفقه والنحو ؛ وهو ممن يحصل الفخر بلقائه » (١٢) . وقال لسان الدين بن الخطيب عن أبي العباس بن الشريف أبي القاسم : « بارق ينتمي الى راعدة ، وبناء على قاعدة . فأبوه الطود الاشم ... » (١٣) ومن تلاميذ أبي القاسم الامام ابو اسحق الشاطبي ، وعبد الله بن زمرك ، ولسان الدين بن الخطيب ؛ وبمثل هؤلاء تفتخر غرناطة . وبينهم ظهر صاحبنا علي بن هذيل . فهو قد عاش في جو حافل بالعلم والادب ، وهو قد ساهم في هذه الحركة العلمية النشطة حيث ألف عدة كتب . ولا يعقل أن ينسي ابن هذيل،وانما أقول : ان الكشف عن الكتب التي ترجمت لتلك الفترة قد يزيل السدف عن حياة الرجل ؛ فكتاب الاحاطة لم يصل الينا كاملا ، ووفيات ابن الخطيب ما زال مخطوطا ، وغيرهما كثير .

آثـــار ابـــن هذيـــل :

الـــف علي بن هذيل عدة كتب ؛ وقد وجدت مخطوطات منهـــا ، كما طبع بعضها . ومن مطالعة كتبـــه التي عثر عليها نعرف أن من تآليفه :

١ ــ كمـــال البغية والنيـــل .

٢ ــ تذكرة من اتقـــى .

٣ ــ مقالات الادبـــاء ومناظرات النجباء .

٤ ــ الفوائـــد المسطرة في علـــم البيطرة .

٥ ــ عين الادب والسياسة وزيـــن الحسب والرياسة .

٦ ــ تحفـــة الانفس وشعار سكان الاندلس . ويقع في جزايـــن : الاول في الجهاد ، والثاني في الخيـــل والسلاح ؛ وهو الجزء الذي أطلق عليه فيما بعـــد : « حلية الفرسان وشعار الشجعان » .

أمـــا كتاب « كمال البغية والنيل » فقد ذكـــر المؤلف اسمه فـــي كتابه « عين الادب والسياسة » (١٤) ، وذلك قولـــه « ومن المنقول فـــي تأليفنا كمال البغية والنيل » . ولـــم أعثر على خبر يفيد ان أحـــدا عثـــر على مخطوط منـــه . وكذلك شأن كتابه « تذكرة من اتقى » ، فقـــد اشار المؤلف اليه في كتـــاب « عين الادب والسياسة » (١٥) كقوله : « ومـــن المنقول في تأليفنـــا تذكرة من اتقى ... » . وكتابه « مقالات الادبـــاء » ذكره غير مرة في كتابـــه « عين الادب والسياسة » (١٦) كقولـــه : « ومن المنقول في تأليفنا مقالات الادباء » . أمـــا كتاب « الفوائد المسطرة في علـــم البيطرة » فقد عثر عليه م. كولان في مكتبة الآثـــار التاريخية بمدريد (١٧) ، وطبع هذا الكتاب في مدريـــد سنة ١٩٣٥ (١٨) .

امـــا « عين الادب والسياسة » فمنه نسخة لدى السيد العربـــي القصيري ، رئيس مجلس الجنايات بدار المخزن ، واخرى مخطوطـــة بمكتبة الرباط العمومية ، وثالثة بمكتبة الاسكوريال (١٩) . وقد طبـــع هـــذا الكتاب لاول مرة في مصر سنـــة ١٣٠٣هـ ، ١٨٨٥م بمطبعـــة الاعتماد (٢٠) . ويذكر محمد عبد الغني حسن انـــه « لا يدري على اية مخطوطة اعتمدت هـــذه الطبعة الاولى للكتاب » (٢١) ولكـــن مرسييه يذكر انهـــا اعتمدت على « نسخة السيد العربـــي القصيري » (٢٢) . وطبع الكتاب مـــرة ثانية على هامش كتاب « غرر الخصائص الواضحة » للأديب المصري جمال الدين « الوطواط » ، وهذه الطبعة في المطبعـــة الادبيـــة المصرية سنـــة ١٣١٨هـ ، ١٩٠٠م. واخـــر طبعة لهذا الكتاب هي التي ظهرت في سنـــة ١٩٣٨م بمطبعة مصطفى البابي الحلبـــي . « وهذه الطبعات في مجموعها مملوءة بالاخطاء والتحريف والتصحيـــف ، وينقصها كثير من التحقيق والنشر العلمي الصحيح (٢٣) . ويبدأ هـــذا الكتاب بـــ « الحمد لله الذي وهب لنـــا العقول والاذهان ... » . ورتبه ابـــن هذيل على اربعة اقسام :

١ ــ في نبـــذ من الاحاديث والحكم والامثال ، التي يقوى الشاهد بهـــا ويُعْظُـــم الاستدلال .

٢ ــ في السؤدد والمروءة ومكـــارم الاخلاق ، ومداراة الناس والتأدب معهم في حالتي الغنى والامـــلاق .

٣ ــ في طُـــرف من الحكايات والآداب الصادرة عن اولـــي الالبـــاب والاحســـاب .

٤ ــ في جمـــل من الوصايا والمواعظ الحسان ، العظيمة الفائدة والمنفعة لكـــل انســـان .

أمـــا عن كتاب « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس » فهو يقـــع في جزأين . وقـــد وقعت بين يدي صورة عن مخطوط الجـــزء الاول ، أمـــا الجزء الثاني فقد طبـــع .

وعـــن مخطوطات الكتاب ذكر لويس مرسييه أن السيد نهليـــل، المحامي في الدار البيضاء،قد وقـــع على مخطوطة منه وقدمها اليـــه (٢٤) . وقد لجأ مرسييه الى تصوير الجـــزء الثاني سنة ١٩٢٢ ، وتصويـــر الجزء الاول سنة ١٩٣٢.وذكر انـــه لم يستطع مقابلة الجـــزء الاول بنسخة الاسكوريال . ثم دلّـــه م. كولان على مخطوطتين اشترتهمـــا المكتبة العمومية بحاضرة ربـــاط ،احداهما متن تحفـــة الانفس بعينه ورقمها « D — ٩٠٤ — » ، وهـــذه النسخة تنقصها الورقة الثانية ؛ وورقة من الفصل الاخـــير للجزء الثاني . كما لحق بهـــا تشويه كبـــير يعزى للعـــث والحشرات،ولا سيما بيـــن ٥ — ٧ أسطر في أعلـــى السبع عشرة ورقـــة الاولى . أما المخطوطة الثانية فقد ذكر ناسخها انـــه كتبها من نسخة مختصرة من كتاب ابـــن هذيل . ورقم هذه المخطوطـــة D — ١١٠٨ — . « واتضح مـــن مطالعتهـــا ان المختصر لها اقتصر على قطع أواخـــر الابواب الاربعين،من غير مراعاة لاتمام المعنى مـــع الايجاز،كما هـــو الواجب في مثل ذلك . وقد تـــم نسخها صباح الاثنين ١٥ ربيع الثاني سنـــة ٩٦٤ هـ في آسفي بني مجير . ثـــم ان السيـــد عبد الله الكتاني اعطـــى مرسييه نسخة أخرى كاملـــة كانت في مكتبة جامعة القيروان ، وبفضل هـــذه المخطوطة استطاع ان يصحح جـــزءا كبيرا من أخطـــاء النسخة الكاملة لنهليل (٢٥) » . وذكـــر بروكلمـــان مخطوطة احمـــد تيمور،ورقمها ٩٩ فروسيه . وذكر مرسييه انـــه حصل من المسيو « م. س. بيارني »،مديـــر مصلحة التلغراف الشريفية بالمغرب، على مخطوطة بعنوان « حليـــة الفرسان وشعار الشجعان »،ولم يذكـــر

عليها اسم مؤلفهـا . وهكذا نكون قد عرفنا ست مخطوطات من الكتاب : اربعـا منها من الكتاب بجزايه ، وواحدة مختصرة . والاخـيرة هـي مخطوطة الجـزء الثاني من الكتاب .

وصف مخطوطة الجـزء الاول المصورة :

لا يذكـر مرسييه متى كتبت المخطوطة ، كما لا يذكر اسم ناسخها ، وهو يذكر انـه لجأ الى تصوير المخطوط الذي قدمه اليـه نهليل . وقد تـم التصوير سنة ١٩٣٢م. واكتفى مرسييه بالتصوير ووضع جـدولا صحح فيـه بعض الكلمات ، وذكر انـه سيحتفظ بنشر ملاحظاتـه واشاراته في ترجمته لـه (٢٦) .

كتبـت المخطوطة بالخط المغربي في سبع وثمانين صفحة مـن القطـع المتوسط . وفي كل صفحة خمسة وعشرون سطرا،ومتوسط مـا في السطر اربـع عشرة كلمة . وليس في النسخة بياض ، ولا يوجـد فيها غموض،الا ما وقـع في الصفحة الثانية بين السطرين الثاني والخامس، حيـث تختفي بعض الكلمـات . وقد صحّحها مرسييه بالنظـر الـى مـا يقابلها في الجـزء الثاني،حيث تتّفـق المقدمتـان في كثير من الكلمات والجمل ، أو انـه رجع الى نسخة أخرى . وقـد وقـع ناسخ المخطوطة في كثير من الاخطـاء ؛ وعندما حاول مرسييـه تصحيحها وقـع في أخطاء كثيرة ، بل انـه كثيرا ما خطّأ الصـواب : « فكلمـة » استحلت في قول المؤلـف « استحلت الغنائم » (٢٧) يجعلهـا مرسييه « استحيلت »،وكلمة « مخيفي » في قول المؤلـف « مخيفـي سبيل (٢٨) يجعلها مرسييه « مخيعي » . والمؤلف يكتب كلمة « سراة » هكذا « سرات »،ويبـدو ان كتابة التاء المربوطة مفتوحة كانت شائعة . ولكـن مرسييه بدلا من تصحيحها يستبدل بهـا كلمة « سادة » دون أن ينتبـه

الى أن الكلمة وردت في الشطر الاول من بيت للفرزدق وهو « كذا دابي وداب سراة قومي » (٢٩) . وواضح أن استبدال كلمة « سادة » بكلمة « سراة » يخرج البيت عن موسيقاه . وغير ذلك كثير من الاخطاء التي وقع فيها مرسييه .

كما أن مرسييه اغفل كثيرا من الكلمات دون تصحيح ؛ فقد ورد في الكتاب ما يلي : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيقطع الجهاد والرباط الا بجيزة يقال لها الاندلس ... » وواضح أن كلمة « جيزة » خطأ . والصواب « جزيرة »، بدليل ما ورد من أحاديث أخرى في الكتاب منسوبة للرسول، صلى الله عليه وسلم، ولكنها تذكر كلمة «جزيرة » . كما أن كلمة « جيزة » لا تؤدي المعنى المطلوب في الحديث السابق ... وينقل المؤلف أبياتا لحسّان بن ثابت في مدح الانصار ، وهي من البحر البسيط، ومنها هذا البيت كما اثبته الناسخ :

وما هز جنات الحرب نادينا ونحن حين تلظى نارها سعر (٣١)

وواضح ما في الشطر الاول من اضطراب في موسيقاه وفي معناه . والصحيح هو :

ولا يهزّ جناب الحرب مجلسنا ونحن حين تلظى نارها سعرُ (٣٢)

ويبدو أن مرسييه لا يعرف جيدا أساليب العرب في القول ، ولذا وقع في بعض الاخطاء حين حاول أن يصحح . فالمؤلف في تفسيره كلمة « أولي الامر » في قوله تعالى : « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » يقول : « فقيل في أولي الامر انهم الولاة الامر . قاله أبو هريرة وابن عباس وغيرهما . وقيل هم أصحاب السرايا ، وقال جابر بن عبد الله هم أهل العلم والفقه ؛ والاكثر على أنهم

الامراء والسلاطين » (٣٣) . وواضح أن كلمة « والاكثر على انهم » تفيد معنى الاتفاق ؛ ولا داعي لذكر كلمة « واتفق »،كما فعل مرسييه حيث راى اضافة كلمة « واتفق » قبل كلمة « الاكثر » . ورغم اخطاء مرسييه الا انه يبقى له الفضل في تعريفنا الى هذه المخطوطة . وهو قد حاول فأصاب في شيء واخطأ في آخر ، ويبقى له فضل السبق، وتبقى له محاولة الاجتهاد؛والعصمة لله وحده . وهكذا فالنسخة المصورة عن مخطوطة نهليل لا تحقق الفائدة الكاملة المرجوّة ،ان اعتُمِد عليها . والواقع انها تنتظر يدا مخلصة لوجه الله تعالى تنقذها مما بها من تحريف وتصحيف واخطاء .

وصف مخطوطة الجزء الثاني المصورة (٣٤) :

تم نسخ هذه المخطوطة التي نشرها مرسييه بطريقة الفوتوتيب في سنة ١١١٠هـ ، على يد أحمد بن أحمد بن جلون . وهي مكتوبة بالخط المغربي الدقيق،في ثمانين صفحة من القطع المتوسط . وفي الصفحة خمسة وعشرون سطرا ، ومتوسط ما في السطر أربع عشرة كلمة؛وليس في النسخة بياض الا في الصفحتين الاخيرتين . وقد أضاف مرسييه اليها ست عشرة صفحة من التصويبات التي وجدها في نسخة الاسكوريال . وصَوَّر مرسييه نسخته هذه عن النسخة التي عثر عليها المسيو م. س. بيارني،مدير مصلحة التلغراف الشريفية بالغرب .

ويظهر أن ناسخها ــ غفر الله له ــ كان خالي المعرفة بالادب والتاريخ واللغة والشعر وأسماء الرجال ... فقد وضع فيها من التحريف والتصحيف والمسح والتشويه ما كثر معه العناء في التصحيح . ويستطيع القارىء ان يدرك ذلك بأدنى نظر الى الهوامش الكثيرة التي ازدحمت بها طبعة الكتاب ، التي تُعَدّ أول طبعة عربية له .

وعلى الرغم من جداول التصويب التي أضافها الناشر المستشرق الفرنسي الى النسخة المصورة،لم يكد يَسْلَم سطر واحد من الخطأ والتحريف ؛ بل كثيرا ما كان يعمد الى الكلمة الصحيحة فيتوهم انه يصحّحها ... ولكن بخطأ جديد؛وكثيرا ما كان يمر على الكلمة المحرّفة فيتركها دون اصلاح،تَوَهُّمًا منه لصحتها .

والامثلة على ذلك كثيرة جدا ؛ فلم تعجبه كلمة « الدغم » في غرر الخيل،وهي صحيحة بالكتاب ، فأصلحها في جداول الخطأ والصواب الى « الرغم » بالراء ... وترك كلمة « العلق » في وصف ابي العلاء المعرى للرمح دون تصويب،وصوابها « الحلق » .

والحقيقة ان من ينظر الى هوامش كتاب « الحلية » يدرك مدى ما لقي محمد عبد الغني حسن في تحقيقه . ولكن يبدو لي أن المحقق ــ غفر الله له ــ لم يَرَ غير النسخة المصورة،وهو على علم بوجود نسخ أخرى من المخطوطة . ودليلي على ذلك أنه لا يشير في مقدمته الى اعتماده على نسخة أخرى ؛ ولذلك تكلف هذا العناء واضطر الى أن يبحث عن كثير من جمل الكتاب في الكتب الاخرى . كما أنه يكثر من استعمال كلمة « هكذا بالاصل »،ولا يقصد بالاصل الا النسخة المصورة . كما يكثر من استعمال كلمة « هكذا بالاصل والتصويب عن ... » وهو يرجع في تصويبه الى الكتب،لا الى مخطوطات أخرى . وقليلا ما يذكر نسخة الاسكوريال،ولكن ذكره لا يعني رؤيته لها،لانه يرجع رؤيتها الى ناشر المصورة .

كما يبدو لي أن المحقق ــ سامحه الله ــ لم ير الجزء الاول من الكتاب رغم أنه نص على وجوده مخطوطا ، فهو يقول : « ووعد مرسييه بنشر القسم الاول من كتاب التحفة لابن هذيل ، وكان ذلك في

سنة ١٩٢٢ ، حتى يتـم بذلك كتاب الاديب الاندلسي كلّـه . ولا نعلم ان كانت الايـام امكنته من انجاز وعـده ».(٣٥) ومعروف أن مرسييه نشر صورة مخطوطة الجـزء الاول سنة ١٩٣٢م . والمحقق طبع الجزء الثاني سنة ١٩٤٩م . ولـو راى المحقق الجزء الاول ما اعتمد علـى التخمين في تحقيق مقدمـة الجزء الثاني ، اذ أن المقدمتين متشابهتـان الى حـد كبير . فقد جاء في الاصل المصور ما يلـي : « والباب الثالث في حفظ الخيل وصونها ، وما ــ بل والوصية بهـا » (٣٦) وقد صحح المحقق هذا النص فجـاء « والباب الثالث في حفظ الخيل وصونهـا ، وما قيل في الوصية بهـا » وعلق على ذلك بقولـه : « ولعل الصواب ما ذكرناه » . ولـو راى المحقق الجزء الاول المخطوط أو المصور لاستغنى عـن التخمين،ولثبت عنده أن « وما ــ بل » من زلـة قلـم الناسخ ؛ فقد ورد في الجزء الاول ما يلـي : « الباب الثالث في حفـظ الخيـل وصونها والوصية بهـا » . وواضح أن المحقق استغنى عن كلمـة « بـل » الزائدة ولكنه أوجـد كلمة تناسب كلمة « ومـا » الزائدة ؛ ولا داعي للكلمة « ومـا » ولا لكلمة المحقق « قيل في »،المضافة الى النص،لان المعنى يستقيم كما في الجزء الاول . وفوق ذلك ، وقـع المحقق في لبس حين تحدث عن الملـك الذي رفع اليه الكتاب،مما يؤكد انه لم يـر الجزء الاول . وسأتحدث عن السلطان الذي رفـع اليه الجزء الاول بعـد أن أتحدث عـن اسم الكتاب .

اسـم الكتـاب :

يقـول ابن هذيل في مقدمة الجزء الاول،بعـد أن يتحدث عن طريقته في تأليفـه : « وسَمَّيتُه تحفة الانفس وشعار سكـان الاندلس،وقسمته على قسمين جامعين لفوائـد غريبة ، ومعان صحيحة غير سقيمة ولا معيبة،يشتملان على اربعين بابـا : فالقسم الاول في الجهاد والربـاط

وما يتعلق بـــه،ويحتوي على عشرين باباً؛والقسم الثاني في الخيـــل والسلاح وما يتعلق بهمـــا،ويحتوي ايضا على عشرين بابـــا » (٣٨) . وواضح ان اسم الكتاب هـــو « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس »، وهو في جزاين ، في كل جـــزء منهما عشرون بابـــا .

ولـــدى الموازنة بين اسماء ابواب الجزء الثاني،كمـــا وردت في المخطوطة التي عثر عليها بيارني،وبين اسمـــاء الابواب الاربعين التـــي وردت اسماؤها في مقدمة الجـــزء الاول المخطوط،الذي حصلت علـــى صوره منه،تبيّن لـــي ان لا خلاف بين اسماء الابواب في كلتـــا النسختين، إنْ في النص او في الترتيب . كمـــا وجدت أن المقدمتين متشابهتان،ولـــم تختلفا الا اختلافا يسيرا اقتضاه اختـــلاف السلطانين اللذين رفع لهمـــا الجزآن ، كما اقتضته مـــادة كل منهما ؛ وما عدا ذلك فالنصان متشابهان، إن في الغرض،او في وصف المنهـــج،او وصف بعض السلاطين . ولكـــن ، من اين أتى اسم الجـــزء الثاني : « حلية الفرسان وشعار الشجعان » ؟ وهل وضع ابـــن هذيل هذا العنوان ؟ .

لا يوجـــد هذا العنوان الا في مخطوطة وجدها مرسييه عنـــد المسيو « م. س. بيارني » (٣٩) . أمـــا المخطوطات الاخرى فـــلا تذكـــر هذا العنوان . وابـــن هذيل نفسه لم يذكره في مقدمة الجـــزء الاول،كما بيّنت . وذكـــر مرسييه أن نسخ المخطوطة تلك هو احمـــد بن احمد بن جلون ، سنة ١١١٠هـ . واستدل على هـــذا الاسم مما جاء بآخر المخطوطة، وهو ما يلـــي : « انتهى بحمد الله وتوفيقه على يـــد كاتبه أحمد بـــن جلّون ، غفر اللـــه ذنبه وتاب عليه ، آميـــن . صحوة يـــوم الجمعة الثانية من المحـــرم من العام العاشر بعد مائة والف » (٤٠) . وقد بحثـــت عن ابن جلون فلم أجد لـــه ذكرا . والرجل متأخر عن ابـــن هذيل،فبينهما ما يقرب من ثلاثمائة سنـــة ، ونسخته مليئة بالاخطاء . فيحتمل أن يكون

هذا العنوان من وضعه ، أو من وضع غيره ممن اعتمد عليهم ابن جلون . والغريب أن لويس مرسييه، عندما يذكر كتب ابن هذيل، يعتبر الحلية كتابا مستقلا، فيفرد له رقما خاصا به، وللتحفة رقما خاصا (٤١) . وقد حقق محمد عبد الغني حسن مصوّرة مرسييه، وطبعها في كتاب بعنوان « حلية الفرسان وشعار الشجعان » . وانا لا أميل الى هذا العنوان لما ذكرت ، واقترح أن يكون عنوان الجزء الاول : « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس ، الجزء الاول ، في الجهاد والرباط وما يتعلق بهما » ، وان يكون عنوان الجزء الثاني : « تحفة الانفس وشعار سكان الاندلس ، الجزء الثاني ، في الخيل والسلاح وما يتعلق بهما » ؛ وبذلك نكون قد وضعنا العنوان نفسه الذي ارتضاه المؤلف .

لمن رفع الكتاب :

رفع ابن هذيل الجزء الاول من كتابه الى « أمير المسلمين الغني بالله ابي عبد الله محمد » (٤٢) . وذكر والده ابا الحجاج يوسف ، وجده ابا الوليد اسماعيل بن نصر . وأفاض عليهم كثيرا من نعوت الفتح والجهاد والنسب الرفيع .

اما الجزء الثاني فقد رفعه الى « أمير المسلمين المستعين بالله أبي عبد الله محمد » (٤٣)، وذكر أربعة من آبائه الملوك ؛ فهو ابن أبي الحجاج يوسف، بن الغني بالله أبي عبد الله محمد، بن أبي الحجاج يوسف، بن ابي الوليد اسماعيل بن نصر . وأضاف عليهم — كما فعل في الجزء الاول — كثيرا من نعوت الفتح والجهاد والتدبّن والنسب ...

وقد ذكر قصيري في برنامجه لمكتبة الاسكوريال ان هدية « تحفة الانفس » وقعت سنة ٧٦٣ هـ (٤٤) . أي أنها رفعت للغني بالله عند ولايته للمرة الثانية ؛ فقد تولى الغني بالله الامر سنة ٧٥٥ هـ

حتى سنة ٧٦٠ هـ حين ثـار اخوه ابو الوليد اسماعيل الثاني وخلعـه . ولكنه اعـاد ملكه سنة ٧٦٣ هـ وبقي في الحكم حتـى سنة ٧٩٣ هـ (٤٥)، حيـن توفـي .

امـا الجزء الثاني فلا يُعرَف متى رفعه للمستعين باللـه ابي عبد الله محمد ؟ ولكننا نعـرف أن المستعين حكم من سنة ٧٩٧ هـ الى سنـة ٨١٠ هـ (٤٦) . وعلى ذلك يكون بين اهدائه الجـزء الاول،واهدائه الجزء الثاني، ما يقرب مـن خمس وثلاثين سنة على اقـلّ تقديـر .

ويذكـر صاحب « معجم المطبوعات العربيـة » ان المسيو لويس مرسييه ترجم كتاب حلية الفرسان ــ الجزء الثاني ــ الى الفرنساوية ... وقال في مقدمته : « ان هذا الكتاب الفـه ابن هذيل باشارة السلطـان محمد الخامس بن يوسف بن اسماعيل بن نصر ... الذي ملـك بيـن سنة ٧٥٠ هـ الى ٧٦٤ » (٤٧) . ونحن نتفق معـه في اسم السلطان ، ولكننا نختلف معـه في الفترة الزمنية التي ذكرهـا . فمحمد الخامس الغني بالله تولى الحكم سنة ٧٥٥ هـ وليس سنة ٧٥٠ هـ . كما أنـه لـم يحكم حتى سنة ٧٦٤ هـ حكمـا متتاليا . وانما فقد حكمه سنة ٧٦٠ هـ ، كما ذكرت . ولكنه اعـاده سنة ٧٦٣ هـ.وبقـي في الحكم حتى سنـة ٧٩٣ هـ . وقـد حاول محمد عبد الغني حسن الرد على ما جاء في معجـم المطبوعات،فأخطأ حين قـال معلقا على ذلك : « وهذا الكلام يحتاج الى التصحيح من جهتين : فـان السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل قد تولى سنـة ٧٥٥ هـ لا سنة ٧٥٠ هـ . وليس هذا السلطان هو الـذي عُمِل كتاب التحفة باشارته ، ولا أُهديَ من المؤلـف اليه ، فقد كـان متقدما على السلطان محمد بن يوسف بن محمد بن اسماعيل ، وبينهمـا

اثنتان وأربعون سنة ، ودليلنا على ذلك هو كلام ابن هذيل نفسه في مقدمة كتابه: فالسلطان الذي قُدِّم اليه كتاب التحفة، أو الحلية، هو الحادي عشر من ملوك الدولة النصرية ، على حين ان السلطان محمد بن يوسف بن اسماعيل، الذي يذكره صاحب معجم المطبوعات العربية ، هو الثامن في ملوك هذه الدولة » (٤٨) . وهكذا خطأ الرجل ما جاء في المعجم من جهتين ، ولكنه وقع في الخطأ من ثلاث جهات ؛ حين نفى أن يكون كتاب « التحفة » قد رفع الى الغني بالله، ورأى أنه رفع الى المستعين بالله، معتمدا في ذلك على ما ورد في مقدمة الجزء الثاني فقط، دون الاخذ بعين الاعتبار المدة الزمنية بين اهداء الجزأين ؛ فهو يتحدث عن الجزء الثاني كما لو كان يتحدث عن الجزء الاول . وهذا هو الخطأ الثاني . أما الخطأ الثالث فهو في ذكره ان السلطان الذي قُدِّم اليه الجزء الثاني هو الحادي عشر من سلاطين الدولة النصرية ؛ والصحيح انه السلطان الثاني عشر .

لِمَ أَلَّف ابن هذيل كتاب « تحفة الانفس » :

يقول ابن هذيل في مقدمة الجزء الاول : « فان أعظم الفوائد قدرا ، وأشرف المعاني ذكرا ، وأنجح المساعي أمرا ، أن يُرفع فَنّ من العلم نبيل الى مقام ملك جليل ، لا سيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بصفة الملك الغالبة عليه ، ويختص بسجيته المنوطة به ، وقطره الراجع حكمه اليه ، فيتضاعف شرف الموضوع . وذلك هو الذي أوجب على العبد تأليف هذا الكتاب ... عندما لاذ به، وتمسك بفاضل مذهبه في الجهاد والرباط (٤٩) » ثم يقول : « فجاء بحمد الله في فنه مجموعا كافيا ، وفي معناه اسلوبا شافيا ، تذكرة لمن عني بالجهاد وتبصرة لارباب الطعان والجلاد ، وتنبيها للفارس وعونا للبطل

الممارس » (٥٠) . وهـذا الكلام موجود في مقدمة الجزاين مع اختلاف طفيف . وواضح ان المؤلف يعتبر مادة الكتاب من العلم النبيل، لانها تتعلق بصفة الملك الغالبة عليه، الا وهي الجهاد ؛ فكان تأليفه استجابة لدواعي الجهاد آنذاك ، كما كان استجابة لاحساس نفسي بما آلت اليه الحال ؛ فاتجه الى القرآن ينتقي منه ما يحقق هدفه النبيل ، والى سنّة الرسول، صلى الله عليه وسلم، ومغازيه يختار منها ما تطلبه الحال ، والى تاريخ العرب يستلهم منه ما يناسب المقام . ولا غرابة في ذلك فقد تعرّض المسلمون في الاندلس في تلك الفترة لشر مستطير ، حيث تكاتفت ايدي الكفر تريد قمعهم، او تغيير عقيدتهم التي كانوا بها، وبغيرها لن يكونوا . وقد تنبّه سلاطين الدولة النصرية لذلك ، فجعلوا الجهاد ديدنهم ، وعاشوا والسلاح في يدهم، والعدو يتربص بهم الدوائر في كل حين . وقد بلغت غرناطة أوج ازدهارها وقوتها زمن ابي الحجاج يوسف الاول، وابنه الغني بالله ؛ وتوفي المستعين محمد ابن يوسف بعد أن عاد من غزو ولاية جيان سنة ٨١٠ هـ (٥١) . وابن هذيل يدرك جيدا تعلق السلاطين النصريين بالجهاد، واعتباره واجبا دينيا خالصا لوجه الله تعالى ؛ ويبدو ذلك واضحا في مقدمة كل من الجزاين . ولو لم يصرح ابن هذيل بهدفه من التأليف لعرفنا ذلك بالتلميح ؛ فالمستعين ذو الدين المتين ، المجاهد الاقصى ، وهو ابن ابي الحجاج يوسف، المجاهد في سبيل الله، ابن الغني بالله، سيف الله المسلول في سبيل جهاده، والغني ابن السلطان المجاهد ، قامع الكفار، وفتّاح الاقطار، ابي الحجاج يوسف بن المجاهد في سبيل رب العالمين ، معز الاسلام وأهله، ابي الوليد اسماعيل بن نصر (٥٢) . والمؤلف يدرك تماما — حال الاندلس، فيحضّ على الجهاد ويرغّب فيه ، ويرضى حكم الله حيث القلة المسلمة والكثرة الكافرة . فبعد أن يسوق آيات وأحاديث في فضل الجهاد عامة، يعلق بقوله : « وان أكرم تربة رفع

الايمان بهـا علما ومنارا ، تربة لبست الجهـاد في سبيل الله شعارا ... جزيرة الاندلس ، أزكى تربـة ، راقت صفحة ومحيا ، وفازت بمدخور فضل الشهادة اعمار اهلهـا ... فخبرها طريف ... كأنها بين بحـر زخار ، وعدو جزار، ملازمين اهلها في الليل والنهـار . والروم بها أمـم كثيرة مختلفة لا يعلمهم الا اللـه تعالى . والحرب بينهم وبين المسلمين، على قلتهـم بالاضافة اليهم، لم تزل سجالا : تارة حال نصر واقتدار ، وتارة حال تمحيص واختبار . سبحان العزيز القهـار ، الذي كل شيء عنده بمقدار » (٥٢) . وهـذا النص بالغ الدلالة على حال المسلمين آنذاك . كما انـه بالغ الدلالة على المفهوم الاسلامي النقـي الخالص للجهـاد؛ فالحرب سجال ، والمسلمون تارة حال نصر واقتدار ، وتارة حال تمحيص واختبار . فهو يعتبر هزيمتهم تمحيصـا واختبارا من اللـه سبحانـه وتعالى . وهذا الكلام يذكرنا بقوله تعالى : « ان يمسسكم قرح فقـد مس القوم قرح مثله؛ وتلك الايـام نداولها بين الناس ؛ وليعلم الله الذين آمنـوا ويمحق الكافرين » . كما ينطوي النص على صرخة الـم دفين ، وعلى اعجاب مشوب بالاشفاق علـى المسلمين ، وعلى اعجاب يبلـغ حـد العشق للأندلس .

وفي نص آخـر يضع ابن هذيل يـده على مشكلة نفسية كانـت قائمة ، وعلى موطن من مواطن الضعف، وهـو الانهزام دون قتال ؛ ويقول بعد ما يورد آيـات كريمة واحاديث شريفة تحضّ على الثبات : « وأمـا ما يفعله اهـل الفشل والخَوَر والخذلان في هذا الزمن، من الانهزام عنـد رؤية العدو، قَـلَّ أو كَثُر، قبل التلبس بالقتال ، ومراجعـة الابطـال ؛ وتعريض الضعفاء لمـا قد جرت بـه العادة الرذلة من القتل والاسر ، فهذا ما لا يجوز لمسلم بوجـه ، وفيه معرة وسوء فطنة المآل؛ واللـه يعصم مما يصم » (٥٥) . والجزء الاول فيـه كثير من تعليقات ابن هذيل

على ما يسوق من آيات او احاديث او اخبـــار . ومن تعليقاته المختلفـــة نلمح غرضه واضحا وهدفه بيّنـــاً . أما الجزء الثاني فموضوعه في الخيل والسلاح، وفيه يُعلِّم ابـــن هذيل الناشئة ركوب الخيـــل واستعمـــال السلاح، ويسوق الدليل ليؤكـــد شرعية ما يذهب اليه. يقول مثـــلا :

« أُقْسَم اللـــه تعالى بالخيل في كتابه العظيم، لفضلها عنده ، فقـــال سبحانـــه : « والعاديات ضبحا ... » وفضلها رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم على الرجـــال في السهمان ، فجعل للفرس سهمين، وللرجل سهما واحدا . وجاءت في فضلها عنه، صلى الله عليه وسلم، احاديـــث كثيرة . عن عبد الله بن عمر أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، قـــال : « الخيـــل معقود في نواصيها الخير الى يـــوم القيامة » (٥٦) . وواضح أن الرجل يحبب الى الناس اقتناء الخيـــل .

طريقة ابن هذيـــل واسلوبه في التأليـــف :

اعتمـــد ابن هذيل في كتابه على القرآن الكريم والاحاديث النبويـــة الشريفة ، كما اعتمـــد على كتب من سبقه في السِيَر واللغة والفقـــه ... وما كتب في الخيـــل ... والمؤلف يذكر بعضا من مصادره ومراجعـــه، فيقول : « وجمعتُ هذا الكتـــاب من جملة تواليف ، وانتقيته من غير مـــا تصنيف ، ككتاب ابـــن يونس في فقـــه الجهاد ، وكتاب يقظة الناعس لتدريب المجاهـــد الفارس ، وكتاب راحة القلوب والارواح في الخيـــل والسلاح ، وكتـــاب الدمياطي في الخيل ... الى غير ذلك من التواليف، التي لنزارة المنقول منها هنـــا لم تُكْتَب، ومن الاجزاء التي لصغر حجمهـــا لـــم تُنْسَـــب » (٥٧) .

ويقـــول في مقدمة كتابه « عين الادب والسياسة » : « والـــذي عليه في التأليف المـــدار ، هو حسن الانتقاء والاختيار ، مـــع الترتيـــب

والتبويب ، والتهذيب والتقريب . وفضيلة هـذا التأليف هي في جمـع مـا افترق مما تناسب واتسق ، واختيار عيون ، وترتيب فنـون ، مـن احاديث نبويـة ، ومكارم ادبية ، وحِكَم باهرة ، وابيـات نادرة ، وأمثال شاردة ، وأخبار واردة ... » (٥٨) .

فالقولان متفقان الى حد مـا ، ويكمل احدهما الآخر : فالاول يدلّنـا على مراجعه، وعلى أنـه لم يثبتها كلها ، والثاني يبيِّن لنـا طريقـة اختياره من هذه المراجع، وكيف انـه يجمع ما افترق، وهو يعتبر ذلـك فضيلة هذا النوع من التأليـف .

وقـد حاول محقق الجزء الثاني أن يردّ مـواد هذا الجزء الـى اصولها . ويبدو لـي أن اعتماد المؤلف كان كبيرا على كتابَي « الخيل » لابـي عبيدة ، وفضل الخيل « للدمياطي ». ومن ينظر الى موضوعات هذه الكتب يجد بعض التشابه . ومن ذلك أن ابـا عبيدة يجعل الباب الاول من كتابه في : « صيانة العرب للخيل وايثارهم لهـا وأشعارهم في ذلك » ، أمـا ابن هذيل فيجعل الباب الثالث من الجزء الثاني « في حفظ الخيـل وصونها، وما قيـل في الوصية بها » . ويتحدث أبو عبيدة عن « عيوب الخيـل خلقـة وحادثة » ، أما ابـن هذيل فيجعل البـاب الثامـن « في عيوب الخيـل خلقه وعادة » . ويتحدث أبـو عبيدة عن « أسماء الطير في الفَرَس » ويفرد ابن هذيل الباب الرابـع ليتحدث عما تسميه العرب مـن أعضاء الفَرَس ، وما في ذلك مـن اسماء الطير . ولا يعني ذلـك الاتفاق الحرفي بين الكتابين ؛ فمن أسماء الطير يذكـر أبـو عبيدة ستة عشر اسما، بينما يذكر ابن هذيل سبعة عشر اسمـا ؛ وفي كتاب ابن هذيـل ثلاثة أسماء زيادة على ما في كتاب ابـي عبيدة هي : النعامة والفرخ والحـداة . وفي كتاب ابي عبيدة اسمان زيادة همـا

« السحاة والخفاش » . وهكذا تبدو المقارنة ممكنة بين الكتابين ؛ وقد حاول محقق الجزء الثاني ذلك في هوامش الكتاب .

أما عن الجزء الاول فيبدو لي ان اعتماد المؤلف كان كبيرا على كتاب « الاحكام السلطانية »للماوردي ، وخاصة على البابين : الرابع والخامس منه . وفصول هذين البابين تتدخل في اكثر ابواب الجزء الاول . ولما كان هذا الجزء غير محقق، فقد رايت ان اضرب امثلة تثبت تأثر ابن هذيل بكتاب الماوردي، واكتفيت بايراد ثلاثة امثلة من كل منهما :

يقول الماوردي في حديثه عن « ما يجب على الامير في السير بجيشه ؟ » ... « الرفق بهم في السير الذي يقدر عليه أضعفهم، وتحفظ به قوة اقواهم ، ولا يجدّ السير فيهلك ويستفرغ جلد القوى ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق ، فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى، وشر السير الحقحقة » (٥٩) .

ويقول ابن هذيل في الباب السادس فيما يجب على الامير ان يفعله في السفر : « يجب على الامير ان يُسَيِّر جيشه وجمعه بسير أضعفهم ؛ ففي ذلك الرفق الذي يبلغ به الضعيف ، ويتوفر عليه جُلُد القوى . وفي خلاف ذلك استهلاك الضعيف ، واستفراغ جُلُد القوى . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الدين متين فأوغلوا فيه برفق، فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى، وشرّ السير الحقحقة » (٦٠) .

ويقول الماروردي في الباب نفسه : « والثاني أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها، وظهورهم التي يتمطونها ؛ فلا يدخل في خيل الجهاد ضخما كبيرا ، ولا ضرعا صغيرا ، ولا حطما كسيرا ، ولا اعجف زارحا هزيلا ؛ لانها لا تقي، وربما كان ضعفها وهنا . ويتفقد ظهور الامتطاء والركوب ، فيُخرِج منها ما لا يقدر على السير، ويمنع من حمل زيادة على طاقاتها » (٦١) .

وقال ابن هذيل في الباب نفسه : « وعليه أن يتفقد خيلهم التي يجاهدون عليها ، وظهورهم التي يمتطونها وتحمل اثقالهم وأمتاعهم ؛ فيخرج من خيل جهادهم القحم الكبير، والحطم الكسير، والضرع الصغير، والاعجف الهزيل ؛ فانها لا تغني، وربما كان الضعيف من ذلك وهنا في العسكر ؛ ويرد من لا يقدر على السير ، ويمنع أن يحمل على الظهر ما لا يطيقه » (٦٢) .

ويتحدث الماوردي عن المشركين في الحرب فيقول : « والمشركون في دار الحرب صنفان : صنف منهم بلغتهم دعوة الاسلام فامتنعوا منها وتابوا عليها ؛ فأمير الجيش مُخَيَّر في قتالهم بين امرين، يُفعل منهما ما علم انه الاصلح للمسلمين، وانكأ للمشركين من بياتهم ليلا ونهارا بالقتال والتحريف ، وأن ينذرهم بالحرب ويصافهم بالقتال ؛ والصنف الثاني لم تبلغهم دعوة الاسلام ، وقل ان يكونوا اليوم لما قد أظهر الله من دعوة رسوله ، الا أن يكون قوم من وراء من يقابلنا من الترك والروم في مبادىء المشرق واقاصي المغرب لا نعرفهم، فيحرم علينا الاقدام على قتالهم غرة وبياتا بالقتل والتحريف ، وأن نبداهم بالقتل قبل اظهار دعوة الاسلام لهم واعلامهم من معجزات النبوة، واظهار الحجة بما يقودهم الى الاجابة ، فان أقاموا على الكفر بعد ظهورها لهم، حاربهم، وصاروا فيه كمن بلغتهم الدعوة ؛ قال تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن »؛ يعني: أدعُ الى دين ربك بالحكمة ؛ وفيها تأويلان : أحدهما بالنبوّة ، والثاني بالقرآن . وفي الموعظة الحسنة تأويلان : أحدهما القرآن في لين من القول، والثاني ما فيه من الامر والنهي » (٦٣) .

ويقول ابن هذيل في الباب الحادي عشر « فيما يجوز فعله في الغزو وما لا يجوز فعله فيه » : « فاذا وصل عسكر المسلمين الى

بـــلاد العدو فالمشركون صنفان : صنف بلغته الدعوة بالاسلام فامتنعوا وقاتلوا، فيجوز قتالهم غرة وبياتا وعلى كل حـــال ؛ وصنف لم تبلغهـــم الدعوة، وقَلَّ ما يوجدون اليـــوم، الا أن يكونوا وراء من يقاتلنا في اقاصي بـــلاد الروم وما يبعدون عن المسلمين ؛ فهؤلاء لا يقاتَلون حتى يدعـــوا الى الاسلام وتقـــام الحجة عليهم . قال الله العظيم « ادع الى سبيـــل ربـــك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي احسن » فقيل في الحكمة إنهـــا أمور النبوّة، والقـــاء المعجزات، واظهار الحجة ؛ وقيل هي القرآن . وقيـــل في الموعظة الحسنة قولان : احدهما بالقرآن في لين من القول ، والثاني ما فيـــه من الامر والنهي » (٦٤) .

ولا يـــلام الرجل على ذلك ؛ وكيف يلام وهو قـــد صرح بأنه جمع كتابه من جملـــة تواليف ، وهو يذكر بعضا من هذه التواليف كما مـــر . وبذلك يحقق النزاهة والموضوعية في كتابـــه . كما أن هذه الطريقة في التأليف كانت متبعة عند القدمـــاء وأحيانا يتبعها المحدثون . ومن يقـــرأ الكتب التي تحدثت عن الخليل، مثلا، يجـــد أن أساليب اكثرها تكاد تتفق في الخبر الواحد ، أو في التعريف اللغوي . فكثيرا ما نجـــد الحكاية عند أبي عبيدة في كتاب « الخيل »، ثـــم نجدها نفسها في أنساب الخيل ، لابن الكلبي ، ثـــم نجدها في « نهاية الارب » للنويري، ثم عند ابن هذيل . وابن هذيل لم يرد من تأليف هـــذا الكتاب اظهار براعته، أو عرض عضلاتـــه الفكرية ، بـــل كان هدفه — كما صرح — أن يكون كتابه « تذكرة لمـــن عني بالجهاد » . ولـــذا فهو ينتقي من التراث ما يحقق هدفـــه ويدعـــم رأيـــه .

وعمليـــة الاختيار هذه ليست سهلة ؛ وقد وفـــق ابن هذيل في اختيار مـــادة كتابه وترتيبها على أبواب الكتاب . والحق أن الرجـــل لـــم يكن يكتفي بمجرد الاختيار والتنسيق، وانمـــا كانت تتدخل شخصيته

بوضوح . وهذا يبدو في تعليقاته المختلفة على ما ينتقي من مادة . يقول بعد أن يورد وصية الخنساء لأولادها ، وكيفية استشهادهم ، معلقا على ذلك : « فبهذه الاخلاق يوصف الرجال ، ولمثل قصدهم تخلص الاعمال ، وبكريم صفاتهم يستحق اسم الرجولية وتحمد الذكورية ؛ فطوبى لمن بذل في سبيل الله قراضه وبخره،واحتسب عند الله من لا يضيع عنده مثقال حبة من خردل أجرة ، ووجه الى مرضاة الله مقاصده واغراضه ، وجعل الجهاد في سبيله قبلته ، واشترى الكثير بالقليل » (٦٥) .

وبالرغم من أن المؤلف انتقى كتابه من جملة تواليف،الا أن كتابه في جملته يختلف عن كل منها منفردا . وعلى سبيل المثال،فان كتاب الخيل،لابي عبيدة،يهتم بالشعر أكثر من اهتمامه بالآيات القرآنية او الاحاديث النبوية ؛ بل انه قليلا ما يورد منها في كتابه ؛ بينما نجد العكس عند ابن هذيل،فهو يبدأ أكثر أبواب كتابه بآية قرآنية ، فان لم يجد فبحديث نبوي ، فان لم يجد فبقول صحابي أو تابعي ... وقليلا ما يند عن ذلك لا سيما في الجزء الاول من الكتاب . كما أن الشعر الذي يورده في ثنايا الكتاب قليل بالنظر الى ما جاء في كتاب الخيل . وابن هذيل لا يذكر شيئا في الجزء الاول الا يحاول أن يبين حكمه في القرآن والا ففي السنة ؛ وكذلك الامر بغير قليل من مادة الجزء الثاني . ولا عجب في ذلك،فغرض ابن هذيل من تأليفه يختلف عن غرض أبي عبيدة .

وكتاب أبي عبيدة في الخيل وحدها ، وكتاب « انساب الخيل »، لابن الكلبي،في انساب الخيل العربية وحدها ؛ بينما يتحدث ابن هذيل في الجزء الثاني من كتابه عن الخيل،وعدّة الحرب المعروفة آنذاك، كالسيف ، والرمح ، والترس ... نعم ان ابن هذيل وقف طويلا عند

الخيل، واستقصى كل ما يتعلق بهـا ، وما ذلك ـ في رأيي ـ الا لكثرة ما ورد في هـذا الباب من اقوال ، ولمـا للخيل من اهمية في الحـرب آنذاك ؛ وأكثر ادوات الحـرب الاخرى يستطيع أن يستعملها الفارس، وفرق بين استعمال الفارس واستعمال الراجل لهـا . وتمشيا مـع هدفه من التاليف، نجـد ان ابن هذيل لا يكتفي بذكر ادوات القتال واستقصاء صفاتها ، بل انـه يعمد الى شرح طريقة الاستعمال ، وهـذه ميـزة من ميزات الكتاب . ومن هـذه الادوات ما ليس عربيا، كالقوس الافرنجية . ولم يصف كتـاب من الكتب التي رجعت اليهـا هذه القوس كما فعل ابـن هذيـل .

والمؤلـف يخضع مـادة كتابه لتقسيم عقلي منطقي دقيق ، وعنوان الباب يحمل دلالـة واضحة على مادته . ومـواد الكتاب لا تختلـط، فالباب لا يعتدي على باب آخـر، كما ان الخبر الواحد لا يُكَرَّر مرتيـن . وهو قليلا ما يشير الى خبر مَـرَّ ذكره، ولكنه في هذه الحالة يستنبط منـه جديدا . وكل بـاب من ابواب الكتاب يؤدي الى الباب الـذي يليـه، ويلتحم معه بلحمة المنهـج والهدف ؛ فالباب الاول : في فضل الجهاد وما اعـد اللـه للمجاهد والشهيد في سبيلـه ؛ والباب الثاني : في الرباط وفضله، وما خُصَّت بـه من ذلك جزيرة الاندلس ؛ والباب الثالث : فـي فرض الجهاد ؛ والرابع : فيمـا يفعله الغازي عند خروجه الى الجهاد ...

والمؤلـف في مادة الباب الواحد يبطىء في تنقله ؛ فهـو لا يترك نقطة الا بعد أن يشبعها بحثـا واستقصاء، بحيث يشعر القارىء أن لا زيادة لمستزيد ؛ ففي الكتاب تجـد القرآن الى جانب الحديث، الى جانب اللغـة، الى جانب الحدث ... وهو ينتقي من ذلك ما هو بالـغ الدلالة على الجزئية بعينها، ثـم ينتقل الى اخرى . ولـذا كان كتابه اشبـه بموسوعة في امور الجهاد، وما يتعلق بـه من فقه ولغة وحديث ... وقد لاحظت ان المؤلـف لا يورد اشعارا كثيرة في ثنايـا الجزء الاول مـن

كتابه ، ويستثنى من ذلك الباب الثامن عشر، فقد غلبت عليه مادة الشعر . ولا عجب في ذلك ، فالباب المذكور « في الفروسية والتجند » ، وكأن ابن هذيل ادرك ارتباط الشعر بالفروسية ، فكم اختلطت قعقعة السيوف بأهازيج الفرسان في الفتوحات الاسلامية ، وكم انطقت الفتوحات الفرسان شعرا وان لم يكونوا شعراء ! وهكذا انتقى ابن هذيل أبياتا شعرية للمشهورين من الفرسان، كعمرو بن معد يكرب ، والسموأل ، وأبي فراس الحمداني .

وثمة ملاحظة اخرى، وهي أن الرجل ينتقي من الحروب ما كان النصر فيها للمسلمين ، ونادرا ما شذ عن ذلك ، مع أنه كان يعرف هزائم المسلمين الكثيرة في الاندلس، فهو ابن القرن الثامن الهجري . وكأن الرجل ادرك الاثر النفسي الذي يولد في النفوس نتيجة ذكر الهزائم ، فأعرض عنها، وذكر انتصارات المسلمين وبطولاتهم، وكأنها درس يربّي الناس على الشجاعة والاقدام ، ويجعلهم اكثر تمسكا بعقيدتهم وحضارتها، حيث كانت مهددة بخطر الابادة .

أما عن أسلوب ابن هذيل فيصعب اصدار حكم نهائي عليه ، لانني لم استطع الاطلاع الا على قليل من كتبه ؛ ومادة هذه الكتب مختارة من كثير من الكتب . ولكنني سأعتمد على مقدمات الكتب التي اعتمدتها ، وعلى تعليقات المؤلف في ثنايا هذه الكتب ، لاصدار راي أعتقد انه صواب . أما المقدمات فيبدو فيها الجمع والتقسيم والازدواج والترادف، يقول المؤلف مثلا : « كتب الله النصر المؤيد ، والثناء المخلد ، والعز المؤبد ، للمقام الكريم السني ، الجليل الطاهر العلي ؛ مقام مولانا ومنجانا ، وعصمة ديننا ودنيانا، ظهير الدين ، وعماد المؤمنين ، وخليفة رب العالمين ، الشهير المناقب ، العلي المراتب » (٦٦) . والمقدمة من الامثال الجيدة على أسلوب الكتابة الاسلامية الرسمية

آنذاك ، فهي تبدأ بالبسملة ، فالصلاة والسلام على سيدنا محمد ، فالحمدلة . وعندما يريد بيان غرضه يقول : « اما بعد » . اما تعليقاته فتشبه في اسلوبها اسلوب المقدمة الى حد ما . يقول بعد أن يورد اشعارا في الفروسية : « واشعار الكماة من الرجال لا تحصى في هذا المعنى لكثرتها ، ولا تخفى على احد لشهرتها،لكن في ذكرها ما يبعث على الاقدام ، وتحمل على ورود مناهل الحمام ... فالاقدام ليس يدني من الوفاة ، ولا الاحجام يزيد في الحياة . والطعن في ثغر النحور اكرم منه في الاعجاز والظهور، والهالك المصدور خير من الناجي الفرور » (٦٧) . اما بقية مواد الكتاب فهي تمثل طريقته في التأليف اكثر ما تمثل اسلوبه الفني . ومهما يكن، يبدو لي أن الرجل تمثّل اسلوب عصره ولم يخرج عنه .

ثقافة ابن هذيل :

يبدو لي أن ابن هذيل كان واسع الاطلاع ، متمثلا ما انتهى اليه عصره من ثقافة ، واعيًا بضروب كثيرة من المعارف . وقد ظهرت آثار ثقافته واضحة في تأليفه .

فرغ ابن هذيل من كتابه « عين الادب والسياسة » سنة ٨٠١ هـ. وموضوع الكتاب يدور حول الاخلاق والحكمة والسياسة . ويذكر ابن هذيل في كتابه المذكور أسماء ثلاثة من كتبه الاخرى، حين يأخذ منها بعضا من مادة الكتاب . وبذا تكون موضوعات هذه الكتب تمت بصلة ما الى موضوع « كتاب عين الادب »، كما أن في عناوين هذه الكتب دلالة على ذلك، فهي « تذكرة من اتقى » و « كمال البغية والنيل » و « مقالات الادباء ومحاضرات النجباء » . والاغلب أن « عين الادب والسياسة » كان آخر ما الف ابن هذيل من كتب ؛ وهو قد الف الجزء الاول من التحفة سنة ٧٦٣ هـ،فيكون بين الكتابين ما يقرب من أربعين

سنة قضاها ابـــن هذيل في التاليف . ويحتمل ان يكون قـــد توّج تآليفه بـــ « عين الادب والسياسة » . ولا يعقل ان يتصدى رجـــل للحديث عن مـــادة كمادة هذا الكتاب ـــ وهي الاخلاق والسياسة والادب والحكمة ـــ دون ان يكون ملمّـــا بالقرآن وعلومه المختلفة ، وبالسنّة واحكامهـــا ، وبعلم التاريخ والسير ، وبخلاصة تجارب بعض الامـــم السابقة ... وهذا ما يفصح عنـــه كتابه « التحفة » .

كـــان الرجل وثيق الصلة بالقرآن ، متنعما بفيئه ، واعيا باحكامه ، متصلا بتفسيره ؛ فهـــو يقتبس منه ويفسر بعض مـــا يقتبس . اما مـــا يتركه دون تفسير فتفسره المناسبة . وقـــد لاحظت ان اقتباسه من القرآن في الجزء الاول اكثر منـــه في الجزء الثاني . والسبب هـــو ان الجزء الاول في الجهاد بينمـــا الثاني في الخيل والسلاح .

وهـــو في تفسيره يهتم بالمعنى اللغوي للكلمة،كقوله : « والجهـــاد في اللغة مأخوذ من الجهـــد ؛ ومن ذلك قولهم بلـــغ جهده ومجهوده ؛ وجهده الامـــر اذا استنفد سعته وطاقته.قال اللـــه العظيم : « وجاهدوا في اللـــه حق جهاده »،أي دافعوا عن دينـــه،وقاتلوا في سبيله بغايـــة القدرة ومنتهى القـــوة » (٦٨) . واحيانا ينقل المؤلف عدة آراء في تفسير جزئية،ويميل الى راي منهـــا،مثبتا صحة هذا الراي بآيـــة قرآنيـــة او حديث نبوي . يقول في تفسير أولـــي الامر في قوله تعالى : « واطيعـــوا اللـــه واطيعوا الرسول واولي الامر منكـــم » : « فقيل في أولي الامـــر انهـــم الولاة الامور؛قالـــه ابو هريرة وابن عباس وغيرهما ؛ وقيل اصحاب السرايا ؛ وقال زيـــد بن اسلم : هـــم السلاطين،والاكثر على انهـــم الامراء والسلاطين،لقول رسول الله صلى الله عليـــه وسلم : « سيليكم بعدي ولاة:البر ببره،والفاجر بفجوره ، فاسمعوا واطيعوا في كل ما وافـــق الحق ، وصلوا وراءهم،فـــان احسنوا فلكم ولهـــم،وان اساءوا فلكـــم

وعليهم » (٦٩) ... وهكذا فهو يفسر القرآن بالحديث أحيانا، وهو ينقل آراء مختلفة، ومثل هذه الاقوال كثير في كتابه ، ولا يستطيع ذلك الا رجل مطلع على القرآن والسنة واللغة ...

وابن هذيل كان على معرفة بالمذاهب الفقهية ، او انه قرأها على اقل تقدير ؛ فكثيرا ما يورد حكما فقهيا لاحد المذاهب في مسألة ما ، ثم يردفه برأي فقهي لمذهب آخر . ومن ذلك قوله في باب المبارزة : « ومنع أبو حنيفة أن يدعو المسلم الى البراز مبتديا ورأى وراء ذلك بغيا ... وجوّزه الشافعي، ورآه اظهار قوة في الدين ونصرة له » (٧٠) . وكقوله في مكان آخر : « ولم ير مالك، رحمه الله، جواز الانهزام من المثلين فما دون ، واعتبره الشافعي من الكبائر ، وقال أبو حنيفة : « عليه أن يقاتل ما أمكنه، وينهزم اذا عجز عن المصابرة وخاف القتل » (٧١) . وقد لاحظت أن الرجل لا يذكر رأيا لابن حنبل . ومعروف أن مذهب ابن حنبل لم يكن شائعا في الاندلس »، كما أن الشافعيين كانوا يعتبرونه شافعيا . والطبري لم يعد مذهبه في الخلاف، واعتبره رجل حديث لا رجل فقه » (٧٢) . ومن تضمينات ابن هذيل الفقهية اعتقد أن الرجل كان مالكي المذهب؛ وسبب ذلك انه يروي رأي مالك أكثر من غيره ؛ كما انه كثيرا ما يعتمد رأي سحنون . ومعروف أن سحنون « هو الذي أخذ مدونة مالك عن أسد بن الفرات، فرتبها وبوّبها، واحتج لبعض مسائلها بالاثار، وعاد بها الى القيروان، وانتشرت منها الى الاندلس ، وكان لها الفضل في نشر مذهب مالك في المغرب والاندلس (٧٣) .

أما عن الحديث النبوي ، فالرجل مطلع عليه ، واع بمناسباته وتفسيره . وهو يفسر القرآن أحيانا بالحديث، وهو لا ينتقي من الحديث الا ما هو مناسب تماما في الدلالة على ما يريد اثباته ؛ فالاحاديث التي تذكر الشهيد وفضله كثيرة ، ولكن ابن هذيل يميز بينها لانه

يفهمها جيـــداً فينتقي منها في حديثه عما اعـــد الله للشهيد ما يخدم هدفه العام من الكتاب، وما يوضح رايـــه الخاص في الباب المذكور، يقول مثلا : « وقال صلى الله عليه وسلم : ما احـــد يدخل الجنة يحب أن يرجع الى الدنيـــا الا الشهيد يتمنى، أن يرجع فيُقتل عشر مرات، لما رأى مـــن الكرامة (٧٤) » . وكقوله ايضا : « وقـــال صلى الله عليه وسلم : الشهيد لا يحب الـــم الموت، الا كما يحب أحدكم الـــم فرحـــه » (٧٥) .

وتبـــدو ثقافة ابن هذيل اللغوية واضحة ؛ فكثيرا ما يعمد الـــى التفسير اللغوي لكلمات قرآنيـــة أو لكلمات في احاديث نبوية شريفـــة . والحقيقة ان الجزء الثاني يكـــاد يكون معجما لغويـــا للخيل، وما يتعلق بهـــا، وللسيف وللرمح والدرع ... فهـــو يستقصي ما يتعلق بهذه مـــن أسماء وصفات ، ويفسر ذلك تفسيرا دقيقـــا، معتمدا على ثقافته اللغوية، وعلى ما جمعـــه من الكتب . ويحشد المؤلـــف لاعضاء الفرس ما يقرب من مئتين وعشرين اسمـــا ، ويفسر كل اسم منها تفسيرا دقيقا ؛ كمـــا تجـــد لاسماء خيل العرب المشهورة ما يقرب من مئـــة وثمانين اسمـــا، اذا أضفنا لهـــا أسماء العتاق . وقد أضاف ابن هذيل الى قاموس اللغة عددا من الكلمات التي كـــان يستعملها أهل الاندلس، يقول مثلا : « والقسي تنتخب من عشر عيدان : خمسة بريـــة ، وخمسة بستانية ؛ فالبريـــة : الطخش ، وهو النبع بلغـــة العرب ، والزنبوج ، والدردال ، والكتك ، والشبر (٧٦) . ولم أجـــد لهذه الكلمات بمعناها المذكور ذكـــرا فيمـــا رجعت اليه من المعاجـــم اللغوية ؛ فكلمة الطخش، في اللسان، بمعنـــى « اظلام البصر »، واما الدردال فلم أجدها، ولكني وجدت كلمـــة « الدردار » بمعنى شجر ؛ امـــا الزنبوج فلا وجود لهـــا في معاجمنا ، ويقول دوزي « إنهـــا شجرة زيتون برية ، ونوع من السهام » . امـــا الشبر فقد ذكر دوزي انهـــا شجرة السنديان أو ضرب منه ، ويذكـــر ان اصلهـــا

اللاتيني (Suber) . امـا الكتم فيذكر دوزي انـه نوع من الشجر ، ويقول انهـا تكتب خطأ « القتـم » في العربية المصرية (٧٧) .

وابـن هذيل عارف بالتاريخ والسير ؛ يـدل على ذلك كثـرة الاحداث واخبار المعارك والحروب التي ضمنهـا كتابه . وهو يهتـم بمعارك المسلمين اكثر من اهتمامه بأيـام العرب ، كما انـه يركز على المعارك التي انتصر فيهـا المسلمون . وقد سبق أن بينت سبب ذلـك .

والاغلـب عندي ان الرجل كان مثقفا ثقافة فلسفية ؛ فهو قـد تصدى للكتابة في الاخـلاق والحكمة،كما مـر بنا في كتابه « عين الادب والسياسة » . وفي ثنايـا كتابه « التحفة » وجدت لـه اقوالا لا يُرُدّها الى اصحابها .... بـل يكتفي بنسبتها الى بعضهم . كقولـه : « قـال بعضهم : الشجاعة هي فضيلة قـوة الغضب ؛ ويعني بالفضيلة الاعتدال ، وهو استعمال تلـك الصورة حيث ينبغي استعمالها » (٧٨).ومعروف ان اصل هـذا الراي عند افلاطون في حديثه عن النفس وقواها وفضيلة كل قـوة . واحيانا يصرح ابن هذيل بصاحب الراي كقولـه : « قـال أرسطوطاليس للاسكندر:اعلـم ان الحرب جسد وروح ، تقوم مـن ضدين يتغالبان بروحهما اعتقاد الغلبـة والظفر من كل واحد مـن الفريقين ، وجسمهما تلاقـي الفئتين ... » (٧٩) . واحيانا ينسب رأيـا لاثاس كان لهـم اتصال وثيق بالفلسفة،كقدامة بن جعفر،وابـي بكـر الطرطوشي،وغيرهما ... وابن هذيل يخضع كل هـذه الحكم والاقوال الفلسفية للمفهـوم الاسلامي اخضاعا كامـلا .

وفـوق ذلك كله فالرجل كان مطلعا على اشعار العرب ، متذوقـا لهـا ، عارفا بمناصيها،وقد اختار منها مـا يناسب هدفه . والشعـر يكثر في الـجزء الثاني ولكنه يقـل في الجزء الاول . واحيانا ينسب ابـن

هذيـــل الشعر المجهول الى قائله ؛ يقـــول : وقال محمد بن مسلم يمدح رجـــــلا :

يلقـــى السيوف بوجهه وبنحـــره ويقيـــم هامته مقـــام المغفـــــر

ويقول للطرف اصطبر لشبا القنـــا فعقرت ركن المجد ان لم يعقر (٨٠)

فهذان البيتيان وردا في ديوان المعانـــي لابي هلال العسكري وقد نسبهما الى بعض الاسلاميين ، كما وردا في الامالي (٨١) « لابـــي علي القالي » في قطعة مكونـــة من اربعة ابيات،وذكر القالي انهـــا مما اختاره ودفعه الى ابي بكر فقراه عليـــه . وابن هذيل لا يشرح الشعر شرحا لغويـــا ولكنه يسوقه ليؤكد بـــه معنى ما،فياتي الشعر في محله واضحـــا بيّنـــًا وكأنـــه مفسر .

واخيرا يبدو لـــي ان ابن هذيل كان فارسا اتقن النظر في علـــم الفروسية ؛ فالباب العاشر مـــن الجزء الثاني « في تعليم ركوب الخيـــل على اختلاف حالاتهـــا » . وهو يتحدث في هذا الباب حديث خبير مجرب . وقـــد لاحظت أن الرجل لا يذكر في هذا الباب مصدرا لمادتـــه،ولا يستشهد بقول احـــد كما في معظم ابواب الكتاب الاخرى ، وانما تبدو فيه ثقافتـــه المكونة من التجربة العملية . وقـــد حاولت البحث عن مـــادة هذا الباب في بعض الكتـــب التي تحدثت عن الخيل،ولكنني لم اجـــد مجالا للموازنة . ومن نصائحه للناس قولـــه : « واعلم ـــ ارشدك اللـــه ـــ ان اصل الفروسية الثبات ، وان مبداها انمـــا هو الركوب على العرى من الخيل ؛ ومن لـــم يتدرب اولا على عرى لـــم يستحكم ثبوته في الغالب ، بل يكـــون ابـــدا قلقا في سرجه ، لا سيماعند خببه وركضه،فـــلا يؤمن سقوطه ان اضطرب فرسه او اصابته هنـــة » (٨٢) . وفي الباب الاخير من الجـــزء الاول يقدم ابن هذيـــل نصائح للقادة،وهي في مجملها اشبـــه بطائفـــة من الحكم . فهـــي في جمل موجزة ، ذات دلالات بعيدة . ويبدو لي انهـــا

خلاصة تجاربه وتجارب الآخرين . وهـو لا يردنا في هذا الباب الـى مصدر، وان كنا نعرف اصـل بعض جمله كقوله : « فاول هذه الصفـات السياسية ليـن في غير ضعف، وشدة في غـير عنف » «٨٣» . ومعروف ان هذا القول ورد في خطبـة زياد بن ابيه المعروفة بالبتراء . ومـن نصائح ابن هذيل للقائـد: « خالف الاعجاب تجـد الصواب ... لا تنسَ وضع الكمين عنـد اللقـاء ... ان بخلتَ بالمـال على اخوانك جُدتَ بـه على اعدائك ... ربّ كلمة هزمت عسكرا ... التفكـر في العاقبة عنـد التلبس بالحرب امارة الجزع ... » «٨٤» .

الهـــوامش

١ ــ اثبت لويس مرسييه هذا الاسم كاملا في المقدمة التي كتبها لمصورة الجزء الاول من التحفة وذكر انه اعتمد على كتاب عين الادب والسياسة في تخريج الاسم .

٢ ــ عيـن الادب والسياسة / ٩٣ .

٣ ــ حليـة الفرسان / ٧ .

٤ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسييه / ب

٥ ــ ج ١٩/٤ . طبعـة دار صادر .

٦ ــ صـــ ٩٣

٧ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسييه /ب

٨ ــ المصـدر نفســـه .

٩ ــ صـــ ٢٨٤ ــ ٢٨٥

١٠ ــ طبع هذا الجزء بعنوان « حلية الفرسان وشعار الشجعان » تحقيق محمد عبد الغني حســـن .

١١ ــ حليـة الفرســان / ٢٠٧ ــ ٢٠٨ .

١٢ ــ انظـر نفح الطيب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١١٦/٧ ــ ١٢٥ .

١٣ ــ الكتيبـة الكامنـة / ٣٠١

١٤ ــ ص ٨٣

١٥ ــ صـــ ١٨٦

١٦ ــ ص ١٠٢ ، ١٦٥ ، ٢٢٦ .

١٧ ــ تحفـة الانفس ، مقدمة مرسييه /ب

١٨ ــ حليـة الفرســان / ١٧

١٩ ــ تحفـة الانفس ، مقدمة مرسييه / ج

٢٠ ــ معجـم المطبوعـات العربيـة / ٢٧٣ .

٢١ ــ حليـة الفرســان / ١٧

٢٢ ــ تحفـة الانفس ، مقدمـة مرسييه /ج

٢٣ ــ حلية الفرسان / ١٧

٢٤ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسيه / ا

٢٥ ــ انظر الكلمة التي كتبها مرسيه بالفرنسية والحقها بصورة المخطوطة .

٢٦ ــ المصدر نفسه

٢٧ ــ تحفة الانفس / ٩

٢٨ ــ المصدر نفسه / ١٣

٢٩ ــ المصدر نفسه / ٧٨

٣٠ ــ المصدر نفسه / ١٠

٣١ ــ المصدر نفسه / ٨٥

٣٢ ــ ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق البرقوقي / ٢٥٦

٣٣ ــ تحفة الانفس / ٢١ــ٢٢

٣٤ ــ اعتمدت في هذا الوصف على مقدمة محمد عبد الغني حسن لحلية الفرسان /١٥ــ١٦.

٣٥ ــ حلية الفرسان /١٥

٣٦ ــ المصدر نفسه / ٢٥

٣٧ ــ تحفة الانفس / ٤

٣٨ ــ المصدر نفسه / ٣

٣٩ ــ حلية الفرسان / ١٤

٤٠ ــ المصدر نفسه / ٢٤٢

٤١ ــ تحفة الانفس ، مقدمه مرسيه /ج

٤٢ ــ تحفة الانفس / ١

٤٣ ــ حلية الفرسان / ٢٣

٤٤ ــ تحفة الانفس ، مقدمة مرسيه / ج

٤٥ ــ معجم الانساب والاسرات الحاكمة / ٩٣

٤٦ ــ المصدر نفسه / ٩٤

٤٧ ــ معجم المطبوعات العربية / ٢٧٣

٤٨ ــ حلية الفرسان / ١١ ــ ١٢ ، تراجم عربية ، محمد عبد الغني حسن / ٥٤.

٤٩ ــ تحفة الانفس / ٢ ــ ٣

٥٠ ــ المصدر نفسه / ٣

٥١ ــ نهاية الاندلس ، محمد عبد الله عنان / ١٣٨

٥٢ ــ تحفة الانفس / ١ ــ ٢ ، حلية الفرسان / ٢٣ ــ ٢٤

٥٣ ــ تحفة الانفس / ٩ ــ ١٠

٥٤ ــ سورة « آل عمران »، آية ١٤٢

٥٥ ــ تحفة الانفس / ٤٥

٥٦ ــ حلية الفرسان / ٣٧

٥٧ ــ تحفة الانفس / ٣، حلية الفرسان / ٢٥ .

٥٨ ــ عين الادب والسياسة / ٣

٥٩ ــ الاحكام السلطانية / ٣٥

٦٠ ــ تحفة الانفس / ١٧

٦١ ــ الاحكام السلطانية / ٣٥

٦٢ ــ تحفة الانفس / ١٧

٦٣ ــ الاحكام السلطانية / ٣٧ ــ ٣٨

٦٤ ــ تحفة الانفس / ٣٥

٦٥ ــ المصدر نفسه / ٥٢

٦٦ ــ المصدر نفسه / ١

٦٧ ــ المصدر نفسه / ٨١

٦٨ ــ المصدر نفسه / ٥

٦٩ ــ المصدر نفسه / ٢١ــ٢٢

٧٠ ــ المصدر نفسه ٥٣ــ٥٤

٧١ ــ المصدر نفسه / ٤٤

٧٢ ــ ضحى الاسلام ، احمد امين ، ٢/٢٣٥

٧٣ ــ وفيات الاعيان ، ابن خلكان ١/٤٣ ، وانظر ضحى الاسلام ٢/٢١٦

٧٤ ــ تحفة الانفس / ٧

٧٥ ــ المصدر نفسه / ٨

٧٦ ــ حلية الفرسان / ٢١٣ ــ ٢١٤

٧٧ ــ أنظر حلية الفرسان / ٢٤٦ ــ ٢٤٨

٧٨ ــ تحفة الانفس / ٥٧

٧٩ ــ المصدر نفسه / ٧٢

٨٠ ــ المصدر نفسه / ٢٣٠

٨١ ــ ص ٤٣

٨٢ ــ حلية الفرسان / ١٣١

٨٣ ــ تحفة الانفس / ٨٦

٨٤ ــ المصدر نفسه /٨٦ــ٨٧